الإنساني 61

بيتر ماورير يقرأ مشهد نزاعات الشرق الأوسط وتحدياته (حوار)

العمل الإنساني:
الأرض كلها وطني...
والعائلة البشرية عشيرتي

تصدر دوريًّا عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر
ICRC
غير مخصصة للبيع
العدد الواحد والستون
ربيع/صيف 2016

كاريكاتور

نبيل السُلمي، مصر، [1945 – 1987]

أيادٍ تمتد لتضئ حياة الآخرين

«البحث» عن الذات» رحلة بشرية قد يقضي الإنسان حياته فيها من دون أن يصل إلى مبتغاه. البعض يجد خلال رحلته هذه إجابات عن بعض الأسئلة الوجودية التي تؤرقه، والبعض الآخر قد يتخيل في لحظات أنه وصل لـ «الإجابة – الحقيقة» وأصبح بإمكانه أن يستريح. لكن يقضي الكثيرون حياتهم في البحث من دون جدوى، وقد يصلون إلى قناعة أن الذات البشرية معقدة لدرجة يصعب معها الوصول إلى فهم جوهرها. في كل الأحوال، قدر الإنسان مهما كبر أو صغر هو أن يطرح الأسئلة ويستمر في البحث عن إجابة يطمئن إليها. البعض يجد اطمئنانه في المال الذي يجمعه خلال الرحلة، والبعض الآخر يجده في عمل يتقنه، وآخرون في عائلة يحبونها. إذ لا إجابة واحدة حول معنى الرضا عن النفس والطمأنينة، بل إجابات بعدد البشر على هذا الكوكب واختلافاتهم.

وربما يبدو التراكم الحضاري للبشرية وما يقدمه من معانٍ للحياة موجودًا جزئيًّا داخل كل فرد منا، غير أن ذلك لا يعني أبدًا الاستقرار إلى أننا كلنا متشابهون فيما يسعدنا أو ما يتعسنا، ما يقوي إيماننا أو ما يضعفه، ما يعطي معنًى لحياتنا ـ وما يحوِّل هذه الحياة إلى مجرد رحلة لم نختر بدايتها ولا نهايتها وما كان لنا يد في الكثير من محطاتها. في رحلة البحث هذه هناك من يجد الإجابة في مساعدة من هم بحاجة إليها مهما كانوا بعيدين عنه أو مختلفين، إذ يصبح قادرًا على أن يرى أوجه التشابه بينه وبين إخوته في العائلة البشرية الواسعة. لا يبقى البحث عن معنى لحياته مرتبطًا فقط بالمتاع الشخصي الذي يمكن أن يحصل عليه من هنا أو هناك، بل يصبح معنى الحياة في وجود الآخرين في حياته ووجوده في حياة الآخرين... آخرون لا يعرف أسماءهم أو عناوينهم، ولا يعرفون اسمه، لكنه يعلم يقينًا أن ذرة من نفسه وصلت إليهم وأنارت بعضًا من ظلمات حياتهم.

هؤلاء الأشخاص موجودون حولنا وإن كنا لا نتنبه دائمًا لمدى الطاقة والدعم اللذين يمدوننا بهما. هؤلاء هم مواطنو الإنسانية، نروي في هذا العدد من «الإنساني» بعضًا من قصصهم (كقصة المسعف المصري سعيد عساكر أو أصوات أربع ناشطات فلسطينيات) أو يروونها بأنفسهم كما فعل الموظف المتقاعد من اللجنة الدولية جيرار بيترينييه، في شهادة تختصر بعضًا من خبرة 35 عامًا في العمل حول العالم في أقسى الظروف جعلته يعايش أحداثًا غيرت التاريخ. ويتضمن العدد وللمرة الأولى منذ نشأة المجلة في العام 1998، مقابلة مع رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر. يتحدث بيتر ماورير، الذي يكمل عامه الرابع على رأس المنظمة، عن التحديات التي تواجه العمل الإنساني في عالم اليوم نتيجة لتغير طبيعة النزاعات والمتنازعين وفشل الكثير من مشاريع التنمية في المنطقة العربية وما رافقها من دخول دول عدة في نزاعات، بعضها ممتد لعقود.

هذه القصص وغيرها مما يتضمنه العدد تجعلنا نؤاخذ أنفسنا عن سوء ظننا وفقدان ثقتنا بالبشرية نتيجة لما نراه من أحداث ومآسٍ من حولنا وتقودنا لأن نتمسك بالأمل بغد أفضل.

«الإنساني»

الإنساني

تصدر دوريًّا عن
اللجنة الدولية للصليب الأحمر

رئيس التحرير زينب غصن

مدير التحرير أحمد زكي عثمان

مستشار التحرير رباب الرفاعي

المراسلات : 33 شارع 106 حدائق المعادي، القاهرة 11431، مصر
هاتف : 25281540/25281541 فاكس : 25281566
البريد الإلكتروني: cai_rcc@icrc.org
الموقع الإلكتروني: www.icrc.org/ar

الآراء الواردة بهذه المطبوعة لا تعبر إلا عن وجهة نظر أصحابها

الإشراف الفني أحمد اللباد

ICRC

اللجنة الدولية للصليب الأحمر منظمة مستقلة محايدة، أنشئت عام 1863. مهمتها إنسانية بحتة، تتمثل في حماية أرواح ضحايا الحرب وكرامتهم وتقديم المساعدة لهم. تقوم اللجنة بتوجيه وتنسيق أنشطة الإغاثة التي تنفذها الحركة الدولية للصليب والهلال الأحمر. وتعمل على ترويج وتدعيم القانون والمبادئ الإنسانية العالمية.

AFB

صورة الغلاف: أعضاء من الفريق الطبي باللجنة الدولية يساعدون طفلًا يعاني من سوء التغذية في مضايا السورية، كانون الثاني/ يناير 2016 (تصوير: سومر رزق).

61

ربيع/صيف 2016

ICRC

رؤى مثيرة للجدل على طاولة إصلاح العمل الإنساني ..... تقرير أحمد زكي عثمان 05

بيتر ماورير: صراعات اليوم نتيجة غياب العدالة ..... حاوره رباب الرفاعي وزينب غصن 09

أزمة اللاجئين السوريين كشفت عن فراغ قانوني ..... إبراهيم عوض 16

عن المناطق المحاصرة في سورية ..... بافل كشيشيك 18

«الربيع العربي» وصراعاته بعدسة المواطن الصحفي ..... محمد علام 20

ما لا يُغطيه الإعلام لا يُكتب في التاريخ ..... عبير سعدي 22

الحرب والصراع كما تعكسهما مرآة السينما السورية ..... فراس محمد 26

سيرك فلسطين يرسم البهجة على وجوه المقدسيين ..... سيرانو ريدوندو 28

رجال رحلوا (ملف مصور) ..... جو سعادة 30

العنف الجنسي: وصمة عار في نزاع جنوب السودان ..... جايسون ستارزيوزو 34

تشريع لحماية نساء الجزائر من العنف والتحرش ..... سلمى حراز 36

نحن النساء الفلسطينيات في ميدان العمل الإنساني 38

رجل الإسعاف سعيد عساكر... 25 عامًا في مهمة لإنقاذ أرواح الناس أحمد عبد الفتاح 40

يوم في حياة اللجنة الدولية: عبد الرحمن عبدي يتحدث عن عمله ..... ريتا نياغا 42

جيرار بترينييه شاهدًا على 35 عامًا من العمل الإنساني حول العالم 43

الجماعة الشعبية وصياغة قواعد أخلاقية لحروب السيرة الهلالية ..... سيد ضيف اللّه 49

بلا رتوش: العودة إلى القاهرة ..... علاء الديب 52

شعر: جنوب الماء ..... محمد الصغير أولاد أحمد 54

من أركان العالم 55

إصدارات 58

تقرير: أحمد زكي عثمان

القمة العالمية الأولى:
رؤى مثيرة للجدل على طاولة إصلاح العمل الإنساني

REUTERS

لم تفلح القمة العالمية الأولى للعمل الإنساني، التي احتضنتها مدينة إسطنبول التركية في أيار/ مايو الماضي، في تبني قرارات ملزمة لإقالة منظومة العمل الإنساني الدولي من عثراتها. وعوضًا عن ذلك، خرج مؤتمر القمة بمبادرة «الصفقة الكبرى»، التي تحمل خطوطًا عامة، بعضها مثير للجدل، لإصلاح هيكل تمويل المساعدات الإنسانية من أجل ضمان فاعلية أكبر لإنفاق مليارات الدولارات من أموال المساعدات على عشرات الملايين من المنكوبين حول العالم.

بالرغم من الاستعدادات المكثفة والدعاية الإعلامية الكبيرة التي سبقت **مؤتمر القمة العالمي للعمل** الإنساني (World Humanitarian Summit)، الذي انعقد بمشاركة نحو 6 آلاف مسؤول وناشط من 173 دولة عضو في الأمم المتحدة، فإن هذه القمة، الأولى من نوعها، أخفقت في الخروج بتدابير ملموسة وملزمة لإعادة صياغة منظومة العمل الإنساني وإصلاح نظام المساعدات الإنسانية. امتد الإخفاق ليشمل اتخاذ تدابير ملزمة للقضية الإنسانية الملحة الخاصة بحماية ملايين النازحين في بقاع مختلفة من العالم. لم تتمكن القمة في النهاية من رسم خريطة طريق واضحة تستجيب بها للتحديات المهولة التي تواجه العمل الإنساني حاليًا، وكل ما فعلته هو أن تخرج بقائمة من التوصيات تحت عنوان «**الصفقة الكبرى**» (Grand Bargain)، تشمل جملة إصلاحات مستهدفة بتمويل المساعدات الإنسانية.

سياق انعقاد المؤتمر

جاء انعقاد مؤتمر القمة هذا في ظل ظروف دولية بالغة التعقيد. فالعالم الآن يواجه أزمة إنسانية لم يختبر لها مثيلًا منذ سبعة عقود، عندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها. خلقت صراعات وحشية، في منطقة الشرق الأوسط أو القارة الأفريقية، تحديات إنسانية جسيمة. فقد دمرت هذه النزاعات المستعرة عشرات المدن، وضاعفت عدد المحتاجين إلى المساعدات الإنسانية تضاعفًا دراميًّا. تذكر

REUTERS

تقديرات أممية أن عدد الأشخاص الذين يحتاجون إلى المساعدة الإنسانية الماسة الآن يقارب 130 مليون شخص، بينهم مئات الآلاف يرزحون تحت نيران الصراع في مناطق محاصرة. علاوة على ذلك، أجبرت هذه الصراعات نحو 60 مليون

تذكر تقديرات أممية أن عدد الأشخاص الذين يحتاجون إلى المساعدة الإنسانية الماسة الآن يقارب 130 مليون شخص، بينهم مئات الآلاف يرزحون تحت نيران الصراع في مناطق محاصرة

إنسان على الفرار من ديارهم بحثًا عن الأمان. وتقول الأمم المتحدة إن العالم بحاجة إلى جمع 240 مليار دولار سنويًا لتقديم المساعدات الإنسانية لعشرات الملايين، ضحايا كوارث حربية أو كوارث طبيعية، حول العالم. وهذا الرقم يمثل أكثر من عشرة أضعاف إجمالي المعونات الإنسانية في العام 2000، لكنه في الوقت نفسه لا يمثل سوى واحد بالمائة من إجمالي الإنفاق العسكري العالمي. برهنت هذه الكوارث على حجم الصعوبات والتحديات الماثلة أمام مئات المؤسسات المعنية بالعمل الإنساني، سواء دولية أو حكومية أو منظمات أهلية، في توزيع المعونات الإنسانية لمن يحتاجها. كما كشفت أزمة اللجوء والنزوح الحالية عن الحاجة الماسة لاتخاذ خطوات، يراها البعض صعبة المنال، لإصلاح مؤسسات العمل الإنساني وآليات التمويل والأطر القانونية حتى تتمكن من الاستجابة إلى التحديات. تشمل قائمة الإصلاحات زيادة تمويل العمليات الإنسانية، ورفع كفاءة توزيع المساعدات الإنسانية، وقطعًا تجفيف منابع الفساد في أنظمة تمويل المساعدات الإنسانية.

أزمة العمل الإنساني الدولي ليست بالأمر الجديد، فقد سبق للأمم المتحدة أن طرحت مبادرة لتطوير آليات العمل الإنساني وبحث سبل التصدي للأزمات الإنسانية المختلفة. حدث هذا في العام 2012، أي قبل أن تتفاقم أزمة العمل الإنساني الدولي إلى ما هي عليه الآن. في ذلك العام دعا **الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون** إلى عقد مؤتمر دولي لمناقشة سبل وآليات تطوير آليات العمل الإنساني على الصعيد الدولي. وبعد مشاورات مكثفة لسنوات، بلورت الأمم المتحدة أفكارًا مثيرة للجدل تستهدف إعادة هيكلة نظام العمل الإنساني الدولي ومليارات الدولارات من أموال المساعدة. طرح الأمين العام هذه الأفكار في وثيقة أممية بعنوان «**إنسانية واحدة: مسؤولية مشتركة**» مقدمة لـ **مؤتمر القمة العالمي**، وصدرت في شباط/ فبراير الماضي. في هذه الوثيقة، التي أُطلق عليها أيضًا اسم «خطة الأمين العام للعمل من أجل الإنسانية»، أفصحت الأمم المتحدة عن وجهة نظرها حيال هيكل المعونات الدولية الحالي، فهو نظام «**عفى عليه الزمن ولا يساير التغيير ويعتريه التجزؤ ويعوزه الالتزام بالعمل الجماعي، وتستحوذ عليه مصالح وتمويلات بضعة بلدان**». حدد الأمين العام للأمم المتحدة في هذه الوثيقة خمسة «التزامات أساسية» لتكون جوهر العمل الإنساني الدولي. هذه الالتزامات هي: الحد من نشوب النزاعات والعمل على إنهائها، تطبيق القانون الدولي الإنساني، وعدم إغفال أحد (من المتضررين أو المحتاجين)، والحد من المخاطر التي تهدد البشر، وأخيرًا خلق نظام لتمويل عمليات الإغاثة والدعم الإنساني. حقن الأمين العام هذه «الالتزامات الأساسية» بعشرات الأفكار ونحو مائة توصية عامة لتفعيل العمل الإنساني تعتبر بمثابة «الإجراءات الرئيسية اللازمة للوفاء بالمسؤوليات الخمس الأساسية» حسب توصيف الوثيقة.

غموض الرؤية

ومع ذلك، انعقد المؤتمر مع هذه الوثيقة المرجعية المثيرة للجدل. فوثيقة «**إنسانية واحدة: مسؤولية مشتركة**» لم تحدد قائمة بأولويات العمل الإنساني في المرحلة الحالية، بحيث يمكن أن يستخدمها مؤتمر القمة وينطلق منها بجملة من القرارات الملزمة لدول العالم. كما غاب عن القمة معظم قادة الدول الكبرى، وهي بدورها الدول الأكثر مساهمة في تمويل العمليات الإنسانية حول العالم. لم يحضر من قادة الدول الصناعية السبع سوى **المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل** (قال موقع القمة إن هناك 55 رئيس دولة شاركوا في القمة). وذكر •••

REUTERS

تتلقى المنظمات الإنسانية المحلية والمجموعات القاعدية العاملة في المجال الإنساني نحو 0,4 بالمائة فقط من الأموال المخصصة للأزمات الطارئة، فيما تهيمن وكالات الأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية الدولية العملاقة على النصيب الأكبر من هذه الأموال.

مراقبون أن سبب الغياب يرجع إلى رغبة قادة هذه الدول في عدم اتخاذ قرارات ملزمة بشأن المهاجرين الذي يطرقون أبواب القارة الأوروبية. وفي يوم افتتاح المؤتمر (23 أيار/ مايو)، أطلقت **المفوضية العليا لشؤون اللاجئين** التابعة للأمم المتحدة نداءً لقادة الدول الأوروبية تقول فيه إن إغلاق الحدود أمام المهاجرين أمر «غير إنساني». وكانت **المفوضية** تشير إلى الإجراءات الأوروبية التي اتخذتها (منها اتفاق مع تركيا) لوقف تدفق اللاجئين الهاربين من نيران النزاعات إليها. أسفر هذا التمثيل السياسي الأوروبي المتدني، فضلًا عن الأجندة المتواضعة للمؤتمر، عن غياب أي أفكار جدية وتوصيات فعَّالة وقرارات تدعو الدول إلى الالتزام باحترام قواعد القانون الدولي الإنساني، وكذلك بذل الجهود في إنهاء الصراعات، وتوفير الحماية للمدنيين، وتقديم المساعدة للاجئين، والتوقف عن استهداف الطواقم الطبية في مناطق النزاعات المسلحة. بعض المنظمات أعربت عن خيبة أملها المبكرة في المؤتمر. فمثلًا أقدمت منظمة إنسانية دولية غير حكومية هي «**أطباء بلا حدود**» على الانسحاب من المؤتمر، وبررت خطوتها هذه ببيان ناري ضد أجندة القمة. ذكرت المنظمة في تفسير أسباب انسحابها: «**كنَّا نأمل أن تطرح القمَّة مسألة وصول اللاجئين ومسائل الحماية، عبر التشديد على تقديم مساعدة إنسانية مستقلَّة وغير متحيِّزة والتركيز على الحاجة إلى تحسين الاستجابة لحالات الطوارئ. للأسف، لقد فشلت القمة في ذلك، بل ركَّزت على طموحاتها في «تقديم المساعدة بطريقة مختلفة» و«تلبية الحاجات»، التي تعدُّ كلمات جميلة تهدِّد باضمحلال المساعدات الإنسانية لتتحول إلى المفهوم الأشمل للتنمية وبناء السلام والأجندات السياسية**».

REUTERS

مخرجات المؤتمر

خرج المؤتمر بحزمة توصيات في وثيقة أسماها «الصفقة الكبرى»، وهي حزمة إصلاحات مبتغاة في هيكل تمويل المساعدات الإنسانية. هذه الإصلاحات، التي جرى اقتراحها من قبل بعض ممثلي الدول المانحة والمنظمات الإنسانية، تطرح 51 «التزامًا» في مجالات عشرة لتحقيق الفاعلية والكفاءة في تمويل المساعدات. من هذه المجالات مثلًا الشفافية في توزيع المساعدات من خلال «نشر بيانات شفافة ومنسقة وصريحة وعالية الجودة في الوقت المناسب عن التمويل الإنساني». وهناك خطوة إيجابية في إعادة صياغة نظام توزيع المساعدات بمنح المنظمات الإغاثية القاعدية أو المحلية (غير الحكومية) نسبة أكبر من التمويل. تقدر إحصائيات أن هذه المنظمات والمجموعات القاعدية العاملة في المجال الإنساني تتلقى 0,4 بالمائة فقط من الأموال المخصصة للأزمات الطارئة، فيما تهيمن وكالات الأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية الدولية العملاقة على النصيب الأكبر من هذه الأموال. وبالرغم من أن حديث الصفقة الكبرى على تخصيص نسبة 25 بالمائة للمنظمات المحلية بحلول العام 2020 يُعدُّ هدفًا بعيد المنال، فإنه خطوة على الطريق.

اللجنة الدولية في المؤتمر

شاركت اللجنة الدولية في المؤتمر، وحاولت نقل تصوراتها الخاصة عن هيكل العمل الإنساني الدولي وآليات إصلاحه. هذه التصورات تختلف في جزء واضح منها مع رؤية الأمم المتحدة. ترفض اللجنة الدولية، ومنظمات إنسانية دولية أخرى، بوضوح المقترحات الخاصة بتوحيد منظومة العمل الإنساني ككل، وتحويلها إلى بوتقة عمل واحدة تحت مظلة الأمم المتحدة. اللجنة الدولية ترى في مثل هذه الاقتراحات تسييسًا أكبر لقضية العمل الإنساني الدولي. كما تختلف اللجنة الدولية مع الرؤية الأممية «**إنسانية واحدة: مسؤولية مشتركة**» ذلك لأنها لم تبرز تمايز العمل الإنساني في مناطق النزاع المسلح، وأدمجته في مشروع أوسع نطاقًا يختص «**أهداف التنمية المستدامة**». موقف اللجنة الدولية هنا واضح في التأكيد على التفرقة بين الأهداف التنموية والأنشطة طويلة الأجل، والأنشطة والخدمات العاجلة والطارئة التي تقدم للمدنيين في مناطق النزاع المسلح. كما خلطت الوثيقة على طول الخط بين الحاجات الإنسانية الناتجة عن النزاعات الحربية والصراعات المسلحة، وتلك الناتجة عن الكوارث الطبيعية، مما يؤدي إلى غموض في صياغة الاستجابة الإنسانية المجدية في كل سياق. تطرح اللجنة الدولية استراتيجية تطوير التشبيك والتواصل بين مكونات العمل الإنساني الدولي: الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر (وهو بمثابة أكبر منظمة إنسانية في العالم)، والمنظمات الأممية (صاحب الجزء الأكبر من تمويل العمليات الإنسانية) وكذلك المنظمات والمجموعات الإغاثية القاعدية. اللجنة الدولية ترى أن هذا التعدد مفيد، ولا ينبغي لأي استراتيجية أن تلغي الشخصية المتمايزة لكل مكون من هذه المكونات. لهذا كان واضحًا تأكيد اللجنة الدولية في المؤتمر على أن الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر هي حركة «فريدة من نوعها، متمايزة (عن غيرها من المنظمات)، وهي فاعل يعمل على الأرض في مناطق النزاع» ■

في أول حوار لرئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر مع «الإنساني»:

بيتر ماورير: صراعات اليوم نتيجة فشل خطط التنمية وغياب العدالة

حذر رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر بيتر ماورير من أن النزاع المستعر طيلة خمسة أعوام في سورية، يهدد منطقة الشرق الأوسط بأكملها. وأضاف في حوار مطول أجرته معه «الإنساني» إن «سورية أصبحت رمزًا للحرب في مطلع القرن الحادي والعشرين»، نظرًا لتعقد الصراع وتنوع المجموعات المسلحة وهذا القدر المهول من السكان المتأثرين بالنزاع. وتناول ماورير، الذي تولى مقاليد الأمور في اللجنة الدولية العام 2012، رؤيته لأهم القضايا الإنسانية التي تعمل عليها المنظمة الدولية في الوقت الراهن والتحديات التي تواجهها. كما طرح رؤيته للدور الذي يؤديه القانون الدولي الإنساني اليوم في حماية المدنيين أثناء النزاعات المسلحة وأزمة اللاجئين.

...

حاوره: **رباب الرفاعي وزينب غصن***

حرر المقابلة: **أحمد زكي عثمان**

ICRC

ماورير في زيارته لأفغانستان في آذار/ مارس 2016

بعد مرور خمس سنوات على ما يعرف بـ «الربيع العربي»، كيف ترى الوضع في المنطقة والنزاع في سورية، بالنظر إلى الطريقة التي تطورت بها النزاعات في المنطقة، أخذًا في الاعتبار أن أولى زياراتك إلى منطقة الشرق الأوسط بصفتك رئيسًا للجنة الدولية كانت إلى سورية؟

زرت سورية عقب شغلي منصب رئيس اللجنة الدولية بفترة وجيزة. أعتقد أنها كانت ثاني زيارة لي عمومًا، وقد تركت لديَّ انطباعًا عميقًا. أتذكر أنه قبل وصولي سورية بأسبوعين [وصلت آب/ أغسطس 2012] قررنا تصنيف العنف الآخذ في الانتشار آنذاك على أنه نزاع مسلح داخلي وفق القانون الدولي الإنساني. قبل ذلك، كانت الانتفاضة الشعبية السورية ارتفعت إلى مستوى النزاع المسلح الداخلي في بعض المناطق. لم يخطر ببالي مطلقًا، في ذلك الوقت، أن الصراع سيتخذ هذا المنحى الذي نراه الآن. لم نفكر قط في أن الوضع في سورية سيكتسب هذه الرمزية، وذلك الأثر الذي يخلفه على حياة الناس؛ الدمار الذي طال البنية التحتية، ونزوح السكان في أرجاء المنطقة وما وراءها، وانهيار منظومات الخدمات: المياه، والصرف الصحي، والسكن، والمدارس، وفوق هذا كله، انهيار الرعاية الصحية. لذا فالنزاع في سورية من وجهة نظري أصبح رمزيًّا، سورية أصبحت رمزًا للحرب في مطلع القرن الحادي والعشرين. وأعني بالرمزي أنه يؤشر لظهور نوع جديد من النزاعات يُخلف أثرًا أكبر مما عهدناه طوال عقود. فالنزاع هنا أعمق وأكثر صراحة من كثير من النزاعات الأخرى من حيث عدم احترام القانون الدولي الإنساني، وتفتت الأطراف الفاعلة، وتسييس العمل الإنساني لمصلحة أطراف النزاع. لقد أصبح الوضع الإنساني بشكل متزايد شاغلًا يوميًّا لمجلس الأمن. أنا لا أقول إن كل شيء يخص النزاع في سورية هو سابقة أولى من نوعها في إطار الحراك الأوسع الذي يشهده العالم العربي، لكنه يعبر في كثير من جوانبه عن نوع جديد من النزاعات التي تخلف آثارًا مغايرة على السكان. ثم هناك سؤال يتبادر إلى الذهن وهو لماذا يحدث هذا؟ وما النظريات المفسرة له؟ لا يسعني سوى التفكير في أن «الربيع العربي» بجميع تبعاته يستدعي إلى الذهن محاولات التنمية الفاشلة على مدار العقدين الماضيين، لا سيما خلال السنوات العشر إلى الخمس عشرة الأخيرة. شملت **الأهداف الإنمائية للألفية التابعة للأمم المتحدة** وعدًا بتحقيق التنمية، وجاء التقرير العربي للأهداف الإنمائية للألفية ليتبنى هذه الأهداف كما تناولها بالنقد. حقق العالم العربي نموًّا جيدًا نسبيًّا على المستوى الاقتصادي، لكن كان هناك شعور عميق بالظلم لدى المجتمع، وكانت هناك حالة من التوتر بين طبقات النخبة التقليدية والطبقات الأكثر ثراءً في مقابل الطبقات المتطلعة لتحقيق العدالة إلى جانب النمو الاقتصادي. في حالة سورية، تصاعدت حدة هذه الانقسامات والتوترات نتيجة اتساع الهوَّة بين تطلعات المجتمع والقيادة السياسية لتتحول إلى قوة محرِّكة للنزاع المؤسف الذي دمر المجتمع بأسره. ربما تعد الحالة السورية رمزًا لهذا التوتر، إلا أنني أعتقد أنها تمثل تهديدًا خطيرًا للمنطقة بأسرها. ونحن بالطبع نتعامل مع الجانب الإنساني لهذه التوترات. أعتذر لطول الإجابة، فهذا موضوع يستدعي لديَّ الكثير من المشاعر، فأنا أومن أن العالم العربي يستحق أفضل مما هو عليه الآن.

لم يخطر ببالي مطلقًا أن النزاع في سورية سيتخذ المنحى الذي نراه الآن، وذلك الأثر الذي يخلفه على حياة الناس؛ الدمار الذي طال البنية التحتية، ونزوح السكان في أرجاء المنطقة وما وراءها، وانهيار منظومات الخدمات: المياه، والصرف الصحي، والسكن، والمدارس، وفوق هذا كله، انهيار الرعاية الصحية

■ **في منتدى دافوس الأخير، انتقدت بوضوح رد الفعل الأوروبي تجاه أزمة الهجرة وطريقة التعامل معها. هل تعتقد أن أزمة اللاجئين تضع القيم الأوروبية تحت الاختبار، تلك القيم التي لطالما دافعت عن حماية حقوق الإنسان؟**

من وجهة نظر **اللجنة الدولية**، كان أول ما أدهشني في رد الفعل الأوروبي القوي، سواءً بالشكل الإيجابي أو السلبي، أن المناقشات في أوروبا لم تركز بالشكل الكافي على المشكلة الأكبر. نعلم منذ زمن بعيد أن النزوح القسري ليس ظاهرة قاصرة على منطقة الشرق الأوسط، فلقد حدثت من قبل في أفريقيا وأميركا اللاتينية وآسيا. ولطالما تعاملت اللجنة الدولية مع آثار النزوح القسري في بقاع عدة حول العالم. لكن الأوروبيين لا يدركون شعور التضامن الذي يبديه النازحون في كثير من هذه الأماكن. في الصيف الماضي، عندما بدأت جموع من المهاجرين السوريين والأفغان التوافد على أوروبا بأعداد كبيرة، لم يدرك الأوروبيون أن أعدادًا كبيرة من هذه الجموع نزحت للمرة الثانية أو الثالثة. ولم يدركوا أيضًا أن الملايين حصلوا على مأوًى ومساعدات في مناطق أخرى داخل بلادهم أو في بلاد مجاورة، كما هي الحال في منطقة بحيرة تشاد، ومنطقة البحيرات العظمى في أفريقيا، والصومال، وإثيوبيا، وإيران، وأفغانستان، وأميركا الوسطى، وبنغلاديش، وميانمار، وتايلاند. الأمر الآخر الذي صدمني هو رد الفعل المستقطب الذي أبداه المجتمع الأوروبي تجاه النازحين. فبينما أبدت منظمات غير حكومية أوروبية ترحيبًا وحفاوة بالغين، أبدى

ICRC

ماورير متحدثا مع عضو الصليب الأحمر الهيليني (اليوناني)، خلال زيارته لمخيمات اللاجئين في اليونان في شُباط/ فبراير 2016

فريق آخر ردود فعل مفرطة في السلبية والدفاعية. وكما صرحت في **دافوس**، فإنني أشعر بالأسى أن ردود الفعل الدفاعية والسلبية للأوروبيين طغت على الخطاب السياسي خلال الشهرين أو الثلاثة الماضية، وسُلط عليها الكثير من الضوء، في حين قوبلت ردود الفعل الإيجابية بالتجاهل. وصُدمت كذلك لدى رؤيتي هذا القدر من الاستهانة والتساهل في تناول بعض السياسيين الأوروبيين الأحكام الرئيسية للقانون الدولي الإنساني وقانون اللاجئين، وكأنها قوانين لا تحظى بأدنى قدر من الأهمية فضلًا عن ضرورة الامتثال لها حرفيًّا. وكأن احترام هذه القوانين ليس شرطًا أساسيًّا لينال المرء صفة زعيم شرعي وأخلاقي في السياسة العالمية.

التقيت منذ منتدى **دافوس** العديد من وزراء الخارجية على هامش **مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة**، وما صدمني خلال تلك اللقاءات هو وعيهم الضئيل بالضرر الذي يسببه الخطاب المهيمن على أزمة الهجرة. هذا الخطاب يضر بسمعة **الاتحاد الأوروبي** في العالم بوصفه رائدًا في القانون الدولي والأخلاق والمبادئ. أعتقد أن الأنظمة السياسية الأوروبية بحاجة لإعادة التوازن إلى نهجها. يعلم الجميع أن هناك معضلات تصاحب التنقلات الجماعية للسكان. لكن المشكلة الآن أننا لا نسمع عن تلك المعضلات، نحن لا نسمع سوى تعزيزات على الحدود، وعن إعادة اللاجئين إلى حيث أتوا في أقرب وقت ممكن. هذا الموقف لا يعالج المشكلة بشكل كافٍ على المدى البعيد، ولا يدعم موقف الاتحاد الأوروبي وسمعته كرائد في مجال تطبيق القانون الدولي الإنساني وحقوق الإنسان على مستوى العالم. الكل يدرك أن التطرف مشكلة خاصة بعد **أحداث بروكسل** [في آذار/ مارس الماضي]، وبعد مرور أشهر قليلة على الأحداث التي شهدتها **باريس** [تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي]. يرتبط التطرف في بعض الأماكن بحركات الهجرة. لكن من غير الممكن أن تُحل المشكلة باتخاذ موقع دفاعي أو بتجاهل القانون الدولي الإنساني والاستهانة به. ثمة التزام يقع على عاتق الهيئات والمنظمات الدولية يقضي بأن تعمل مع الأوروبيين بما يضمن تنفيذ القرارات المتخذة على النحو الذي يصون حقوق الإنسان الأساسية، والقانون الدولي الإنساني، وقانون اللاجئين. لديَّ تفاؤل حذر فقد ●●●

ماورير في زيارة لمخيم نازحين داخليًا على أطراف حمص السورية، 25 شباط/ فبراير 2016.

ICRC

من هو بيتر ماورير

تولى بيتر ماورير منصب رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر في العام 2012. ولد ماورير في سويسرا في العام 1956. درس التاريخ والقانون الدولي في برن، وحصل على درجة الدكتوراه. التحق بسلك الدبلوماسية السويسرية عام 1987 حيث تقلب في المناصب الدبلوماسية المختلفة، حتى عُين في العام 2004 سفيرًا ورئيسًا لبعثة سويسرا الدائمة لدى الأمم المتحدة في نيويورك. وفي كانون الثاني/ يناير 2010 وحتى نيسان/ أبريل 2012 شغل ماورير منصب وزير الدولة للشؤون الخارجية في سويسرا، قبل أن يتولى رئاسة اللجنة الدولية للصليب الأحمر

ICRC

في زيارته إلى الأردن في أيلول/ سبتمبر 2014، وتظهر في الصورة الرئيسة السابقة لبعثة اللجنة الدولية في عمان كاثرين جوندر

سمعت خلال اليومين الماضيين بعض الزعماء الأوروبيين المهمين يقول إن الاتفاق مع تركيا يجب أن ينفذ بما يتفق مع القانون الدولي. لذا يبدو أن هناك مساحة للتأثير والنقاش، وهذا شيء أُقدره.

■ **لنفترض أن دولًا بعينها تقدم المساعدات الإنسانية أو تستقبل اللاجئين في حين تشارك حكوماتها في الوقت ذاته في أعمال أو مباحثات عسكرية بشكل أو بآخر. في رأيك، كيف يمكننا التوفيق بين المصالح العسكرية والسياسية من جهة، والمصالح الإنسانية من جهة أخرى، وكيف يؤثر هذا التوفيق على الاستجابة الإنسانية؟**

نحن نتعامل في اللجنة الدولية مع هذا التناقض، فهذا أحد أسباب وجودنا. لا يمنع القانون الدولي الإنساني اندلاع الحروب. وهو يقبل هذا التناقض، يقبل بحقيقة أن الدول قد تلجأ إلى النزاع المسلح، فيحاول منع وقوع الأسوأ والمحافظة على حد أدنى من الإنسانية في تلك النزاعات.

وتكون المشكلة أكثر صعوبة عندما ننظر إلى مدى مشروعية الحرب ومسوِّغات تبريرها. عليَّ أن أذكِّر الناس دائمًا بأن المؤسسين الأوائل للجنة الدولية والحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر لم يروا أي تناقض بين التخفيف من آثار الحرب وبين الكفاح لتخليص العالم من الحروب. لقد رأوا أن اعتناق هذه الفكرة يُعد خطوة أولى نحو عالم أكثر سلامًا. كانوا في بعض الأحيان أكثر وضوحًا منا نحن اليوم في مناداتهم بانتهاج سياسات من شأنها التخلص من هذه التناقضات. وليس من قبيل الصدفة أن يكون **هنري دونان** [مؤسس اللجنة الدولية للصليب الأحمر] من بين الأوائل الذين نالوا **جائزة نوبل للسلام** [حصل عليها مناصفة في العام 1901]. لم يكن سبب حصوله على الجائزة أنه الأب المؤسس للجنة الدولية، ولكن لدعوته إلى نشر السلام. وعلينا في اللجنة الدولية اليوم أن نكون حريصين لئلا نُفرط في بذل جهود بناء سلام أكثر طموحًا، نحن بحاجة إلى أن نظل قادرين على الوصول إلى الناس في أصعب الظروف. الإنسانية في صورتها الخالصة تساعدنا على تحقيق ذلك، لكن هذا يعني أن علينا أن نقبل بالتناقض.

على الرغم من كل أشكال التغيير التي طرأت على النزاعات، وأطرافها، والأسلحة، والاستراتيجيات، وأنواع العنف، فأنا أومن أن اتفاقيات جنيف تظل إطارًا لا يقبل الجدل في توجيه جميع المنخرطين في النزاعات التي نشهدها اليوم.

يتحدث مع أم نازحة في مخيم بمدينة مايدوغوري (عاصمة ولاية برنو النيجيرية)، 19 أيار/ مايو 2015.

ICRC

غير أن هذا لا يعني أن الآخرين لا يجب أن يشاركوا ويكافحوا بقوة أكثر لإيجاد حل لهذا التناقض.

■ **يشكك البعض في اتفاقيات جنيف وفي قوة تأثيرها في عالمنا اليوم. مؤخرًا، أطلقت اللجنة الدولية دليلًا إرشاديًّا جديدًا حول تطبيق اتفاقيات جنيف يتناول تأثير الاتفاقيات وطرق الحرب وأساليبها الجديدة. ما رأيك في نزعة التشكيك هذه، وكيف ترد على أولئك المشككين؟**

على الرغم من كل أشكال التغيير التي طرأت على النزاعات، وأطرافها، والأسلحة، والاستراتيجيات، وأنواع العنف، فأنا أومن أن اتفاقيات جنيف تظل إطارًا لا يقبل الجدل في توجيه الدول، والمجموعات المسلحة من غير الدول، والمنظمات الإنسانية المحايدة، وغير المتحيزة، والمستقلة في النزاعات التي نشهدها اليوم. لكن القانون الدولي الإنساني لا يدور حول اتفاقيات جنيف فقط. فقد خضع القانون للتفسير، والتعريف، والتطوير على مدار العقود الماضية، وهو يتضمن اتفاقيات مهمة خاصة بالأسلحة، ومبادئ توجيهية، وقوانين غير ملزمة خاصة بالنازحين داخليًّا وغيرها. ما يهمني كرئيس للجنة الدولية ليس وجود من يشكك في مكانة الاتفاقيات، بل الطريقة التي تنتقد بها اتفاقيات جنيف. البعض يقول إن اتفاقيات جنيف لا تحل جميع المشكلات التي نواجهها في نزاعات اليوم، وعليه يجب أن تخضع الاتفاقيات لمزيد من التطوير والتوضيح والتفسير كي تسد الثغرات في القانون الدولي الإنساني. لكنني أخشى أن بعض من يشككون في اتفاقيات جنيف تكون غايتهم من ذلك هي تجنيب أنفسهم الالتزام بتطبيق تلك المعايير. علينا أن نفعل العكس؛ أن نقر بأن إطار القانون الدولي الإنساني غير كافٍ وأنه بحاجة لأن يخضع للتطوير كي يضمن حماية الناس ومساعدتهم بشكل أفضل في المستقبل. أنا مستعد للرد على كل من يقول إن اتفاقيات جنيف باتت غير مجدية في يومنا الحاضر، لأنها ليست كذلك. أما من يقول إنها غير شاملة، فأقول حسنًا، هذه نقطة يمكننا الانطلاق منها. يمكننا مناقشة إلى أي مدى يحتاج القانون إلى تطوير وتفسير. ولعل المطبوعة التي صدرت مؤخرًا الخاصة بالإصدار الجديد للشروح خير مثال يبرهن كيف يمكننا – من خلال التفسير – أن نضيف إلى قراءة الاتفاقيات في يومنا الحاضر. باختصار، اتفاقيات جنيف وثيقة الصلة لكنها بحاجة إلى مزيد من التطوير.

■ **أعتقد أنك كنت تعلق آمالًا على أن تقطع الدول على أنفسها التزامات أكثر قوة بتعزيز القانون الدولي الإنساني خلال المؤتمر الدولي للصليب الأحمر والهلال الأحمر الذي عُقد في كانون الأول/ ديسمبر الماضي. هل خيبت النتائج في هذا الشأن آمالك؟**

في الحقيقة نعم. وقد تعرضت للنقد للإعراب عن شعوري بخيبة الأمل، فعندما تكون رئيسًا لمنظمة أو دبلوماسيًّا تدرك أن المؤتمرات لا يمكن أن تفشل أو أن تخيب الآمال. بالطبع كنت آمل أن يصدر قرار أكثر طموحًا. وشعرت بخيبة الأمل لأن المقترح الذي قدمته اللجنة الدولية وسويسرا أمام الدول والحركة لم يحشد الدعم الذي كنت أطمح إليه. لذا فأنا أؤكد مجددًا وبكل صراحة خيبة أملي من النتائج مقارنة بتوقعاتي. من جهة أخرى، تمثل هذه المناسبات فرصًا مواتية لننظر بعين ناقدة لنرى إذا كان ما اقترحناه مناسبًا. وربما يمكننا توسيع نطاق تفكيرنا وأن تتفتق أذهاننا عن أساليب أخرى لتعزيز تطبيق اتفاقيات جنيف. أعتقد أنه من الواجب أن نكون حذرين، وألا نصف كل من أبدى اعتراضه على المقترح بأنه لا يلتزم بتطبيق اتفاقيات جنيف. ربما يكون شعوري بخيبة الأمل باعثًا على العمل مع الجميع مجددًا بطريقة أكثر جدية، لنعرف ما الذي ينبغي لنا فعله بطريقة مختلفة لجسر الهوة بين الالتزام السياسي المستند إلى الرغبة في تطبيق القانون الدولي الإنساني واتفاقيات جنيف والنتائج المخيبة للآمال التي حصلنا عليها. علينا أن نتراجع بضع خطوات وأن نبحث ربما عن صيغة أفضل للتطبيق. لذلك أنا أشعر بخيبة أمل بسبب نتائج المؤتمر لكن همتي لم تثبط. وأعتقد أنه يجب أن نتعاون مجددًا وأن نبحث عن المزيد من الأساليب للمضي قدمًا في هذه القضية.

■ **ما التحديات الثلاثة الأبرز التي ستتحدث عنها أمام مؤتمر القمة العالمي للعمل الإنساني المزمع عقده في إسطنبول، وما الرسالة التي تود إيصالها للمشاركين؟****

النقطة الأولى بلا منازع في رسالتي إلى مؤتمر القمة العالمي للعمل ●●●

ماورير يسير بجوار مسجد في مدينة معضمية الشام أثناء زيارته الأولى لسورية، 4 أيلول/ سبتمبر 2012.

ربيع/صيف

ICRC

مع أمير الكويت
صباح الأحمد الجابر الصباح
في العاصمة الكويت، 2014

الإنساني ستكون حول الالتزام الدقيق والقوي بالقانون الإنساني، والمبادئ التي تنتهجها المنظمات الإنسانية وأعمال الحماية التي تضطلع بها. وأعتقد أنه من المهم تسليط الضوء على هذا الجانب من العمل الإنساني. تحدث الكثيرون أثناء العملية التشاورية عن تحسين المساعدة الإنسانية، والتعامل مع مشكلات الوصول والأمان، والتنسيق. وهذه بلا شك قضايا مهمة، لكنها ليست القضايا الأهم بالنسبة للجنة الدولية. خلال زياراتي الأخيرة إلى سورية، وأفغانستان، والصومال، واليمن وأماكن أخرى ثبت لي مجددًا أن أعمال الحماية تمثل حجر الزاوية ليس فقط في استراتيجية اللجنة الدولية، بل كذلك في تمكيننا من الاستجابة للتحديات الإنسانية في عالمنا المعاصر. وأن أعمال الحماية تتطلب وجود قواعد قوية تستند إلى قوانين ومبادئ راسخة. أعتقد أننا سنبعث في مؤتمر القمة المقبل كمنظمة رسالة قوية حول الحماية، والقانون، والمبادئ.

النقطة الثانية ستكون بالتأكيد حول رؤيتنا بشأن الصيغة التي تكون عليها الاستجابة الإنسانية الفعالة في المستقبل. في الوقت الحالي أنا لست مقتنعًا بما ورد في تقرير الأمين العام للأمم المتحدة من تشديد على التنسيق أو الأهمية التي علقها على إنشاء نظام إنساني موحد والعمل على ذلك. فأنا أعتقد أن لدينا أكثر من نظام إنساني: منظومة الأمم المتحدة، ومنظومة الصليب الأحمر والهلال الأحمر، والمنظمات غير الحكومية المحلية التي لا تنتمي إلى أي من المنظومتين. علينا أن نحاول ضمان قدرة هذه المنظومات على الاستجابة بشكل أكثر جدية لاحتياجات الناس، لكني مقتنع أن المشكلة لا تكمن في التنسيق. نعلم أن هناك مدنًا بها 100 منظمة غير حكومية و35 وكالة إنسانية وعدد من جمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر الوطنية وأنا أول من يقر بأن ثمة حاجة للتنسيق بينها. لكن تلك ليست القضية. المشكلة الرئيسية بالنسبة لي هي المناطق الشاغرة على خريطة العالم. فالتنسيق ممكن متى رغبنا في تحقيقه، لكن إذا لم يكن هناك أحد، ما الذي سننسقه؟ يجب أن نشدد على أهمية التركيز على المناطق التي يكون الحضور فيها ضئيلًا أو لا يوجد بها أي حضور على الإطلاق، بدلًا من التركيز على الإدارة التفصيلية حيثما توجد العديد من الهيئات العاملة. فهذا أمر في غاية الأهمية.

أثبتنا على مدار العامين إلى الثلاثة أعوام الماضية أنه من الممكن فعل الكثير. حققنا خلال أربع سنوات نموًّا بنسبة 50٪، وفعلنا هذا على وجه الحصر تقريبًا عن طريق الاستفادة من إمكانات المانحين التقليديين، باستثناء دولة الكويت، التي أصبحت من المانحين المهمين للجنة الدولية

أما النقطة الثالثة فتتعلق بالتمويل. أعتقد أن اللجنة الدولية أظهرت على مدار السنوات القليلة الماضية أنها تنتهج استراتيجية قوية لتوسيع قاعدة الجهات المانحة للعمل الإنساني. جميع القضايا الواردة في تقرير الفريق الرفيع المستوى مثيرة للاهتمام ولدى اللجنة الدولية إسهام في كل قضية. إنه لمن المهم توسيع قاعدة المانحين من الدول لتشمل جهات أخرى، بما في ذلك الجهات الخاصة، ومن الضروري أيضًا النظر إلى إمكانية استغلال المزيد من الأموال الموجهة للتنمية في مجال العمل الإنساني، وتمويل الأنشطة في السياقات الهشة. ومن المهم أيضًا تطوير أدوات مبتكرة مثل السند الإنساني الأثر.

فإذا كنت تريدين مني كلمات رئيسية؛ ففي المقام الأول تأتي الحماية والقانون الدولي الإنساني، ثم نظام متكامل ومتنوع بدلًا من نظام منسق، وأخيرًا طرق جديدة ومبتكرة لتوسيع قاعدة المانحين. فالفرضية الأساسية التي ننطلق منها أن الاحتياجات ستزداد، لذا يجب أن تشغل هذه القضايا تفكيرنا.

■ **إن لم نكن مخطئين، كانت ميزانية اللجنة الدولية قبل عقد مضى نحو مليار فرنك سويسري، وفي العام الماضي شارفت على 1,80 مليار فرنك. تحدثت عن تنويع قاعدة المانحين، كيف تخطط اللجنة الدولية لتحقيق ذلك بشكل ملموس في ظل اقتصاد يعاني الركود، حيث لا يستطيع المانحون مواكبة تزايد أنشطتنا المرتبط بتزايد الاحتياجات، هل ستستطيع اللجنة الدولية تحقيق أهدافها في هذا الصدد؟**

أثبتنا على مدار العامين إلى الثلاثة أعوام الماضية أنه من الممكن فعل الكثير. حققنا خلال أربع سنوات نموًّا بنسبة 50٪، وفعلنا هذا على وجه الحصر تقريبًا عن طريق الاستفادة من إمكانات المانحين التقليديين، باستثناء دولة الكويت، التي أصبحت من المانحين المهمين للجنة الدولية. أما ما تحقق من نمو بخلاف ذلك فجاء نتيجة التمويل الذي تلقيناه من المانحين التقليديين في المقام الأول. أومن بأنه لا علاقة بين المساعدة الإنسانية والوضع الاقتصادي سواءً المتنامي أو المنكمش، لأن المبالغ التي نحتاجها لنؤدي عملًا ملموسًا ليست بالمبالغ الكبيرة من حيث نسبتها المئوية إلى نسبة النمو الاقتصادي للبلد. قد تكون دولة ما هنا أو هناك تمر بصعوبات مالية كبيرة بصورة مؤقتة، لكننا لا نتحدث عن تمويلات بأحجام متماثلة. لذا فعندما يتحجج المانحون بعدم قدرتهم على المساهمة بسبب انخفاض سعر النفط، أو تباطؤ النمو الاقتصادي فتلك حجج واهية. ولقد رأينا

ICRC

يتفقد الدمار الذي حل بقطاع غزة في آب/ أغسطس 2014

من كثير من المانحين أنهم عندما يرون خطورة الموقف، ويدركون أن المال الذي يستثمرونه يحل مشكلات نتيجة العمل الفعال الذي نؤديه، يكون هذا حافزًا لهم لحشد الكثير من المال حتى وإن كانوا يمرون بظروف بالغة الصعوبة. فأنا أرى إذن أن عددًا أكبر من الدول بإمكانها المبادرة والمساهمة بسخاء أكثر لتمويل العمل الإنساني المحايد وغير المتحيز والمستقل.

■ **صرحت في دافوس أن حالة اليأس التي تعيشها الشعوب ليس لها صدًى كاف. كيف تفسر ضعف الاهتمام الإعلامي بمناطق النزاع المنسية التي تعمل فيها اللجنة الدولية؟**

لطالما كان هناك تعارض بين التقييم الموضوعي للاحتياجات، والإعلام الجماهيري بهذه الاحتياجات، والتدفقات النقدية. وكما ذكرت عدة مرات من قبل، تمثل هذه المحاور الثلاثة مثلث برمودا الذي يتعين على اللجنة الدولية والعديد من الوكالات الإنسانية الأخرى خوضه. وأفضل طريقة لتجاوز هذه الإشكالية هي أن تعترف بها الدول، وأن تسهم بالقدر الممكن من المال «غير المخصص»*** لغرض معين حتى يتسنى لنا تخصيص المال للمناطق ذات القدر الأعلى من الاحتياجات الموضوعية. بالطبع لا يوجد علاج سحري؛ ستظل هناك دائمًا نزاعات تستحوذ على قدر أكبر من الاهتمام والإنفاق بسبب أهميتها الاستراتيجية، واهتمام القوى العظمى بها، وأثرها الفظيع على السكان. إن المساهمات غير المخصصة لغرض محدد هي أفضل ضمانة في مواجهة مفاضلة حالة نزاع على غيرها. أعتقد أنه بسبب الثقة التي يودعها كثير من الناس في عملنا، تعد اللجنة الدولية إحدى المنظمات التي تتلقى أقل قدر من التمويلات المخصصة، ولذا فهي أكثر قدرة على إعادة التوازن بين الاهتمامات، والمخصصات المالية، والاحتياجات.

■ **كونك قد جئت من أروقة الدبلوماسية، وهو حقل يغلب عليه صنع القرار، ما التحديات الشخصية التي واجهتك منذ التحاقك باللجنة الدولية قبل قرابة أربع سنوات وشروعك في تمثيل المنظمة على أعلى مستوى بوصفك رئيسها؟ وما أهمُّ تجربة خضتها إلى الآن؟ وهل غيرت اللجنة الدولية فيك شيئًا بشكل أو بآخر؟**

هناك جزء من عملي اليومي لا يختلف إطلاقًا عن العمل الدبلوماسي، وهو تمثيل المنظمة أمام العالم الخارجي. لكن ما لم أمارسه من قبل هو الجزء المتعلق بالحوكمة؛ الإشراف على عمل المنظمة لضمان تماشيه مع القرارات التي تتخذها الهيئات الحاكمة للجنة الدولية. ليس ثمة اختلاف جوهري في الجزء الدبلوماسي؛ فنحن نتحرك في دوائر دولية، ونبني شبكات، ونتعامل، ونحاول الترويج لاهتمامات المنظمة والدفاع عنها. لكننا نتعامل مع قضايا مختلفة ونركز بشكل أكبر على قضية واحدة وهي قضية الإنسانية. عندما يمثل الدبلوماسي دولةً ما فهو يعمل على نطاق أوسع، غير أن فهمه للقضايا لا يكون بذات القدر من العمق.

وكذلك فإن الأنشطة الميدانية؛ وما تتضمنه من قرب من النزاع ومن الضحايا والعمل في الميدان، هذا جانب لم يسبق لي ممارسته أو تولي المسؤولية عنه. ولأن اللجنة الدولية تعمل على خطوط المواجهة، فإن ذلك يجبرني على الاحتكاك بمجالات لم أحتك بها من قبل. فلم يسبق لي أن اقتربت إلى هذا الحد من النزاعات والضحايا ومن آثار الحرب والعنف. وهذا يُحدث تغييرًا في المرء لأن نظرتك للعالم تتغير. الرائع في الأمر أن هذا القرب اليومي وطوال الوقت يُشعرني بأنني أؤدي دورًا ملموسًا بصفتي رئيسًا للجنة الدولية، وأن ما أقوم به مهمٌّ وله أثر بدرجة أكبر مما لو كنت دبلوماسيًّا، فذلك التأثير المباشر يمنحني الشعور بالرضا.

على الرغم من التشابهات الكثيرة، تظل اللجنة الدولية هيئة كبيرة، وكونها هيئة كبيرة يستلزم نظام إدارة محكمًا. وشأنها شأن غيرها من الهيئات لديها المشكلات المتعلقة بمحاولة أداء دور فاعل، وبكفاءة عالية، وأن تتجرد من البيروقراطية. وهذا الجانب من العمل يبعث لديَّ بعض الإحباط سواء في اللجنة الدولية أو في أي منظمة أخرى. لكني أجد في الجانب الآخر من العمل متعة وأهمية تفوق ما أجده من ذلك الجانب. ومن بين مهامي الرئيسية كرئيس للجنة الدولية محاولة نقل ما أراه في الميدان وما أجده أثناء اتصالي بالناس المحتاجين إلى الساحة الدبلوماسية والسياسية، لأن معظم الرؤساء والوزراء الذين ألتقيهم لا يذهبون إلى الأماكن التي أذهب إليها. وأعتقد أنه يتعين عليَّ أن أكون أمينًا في نقل إلى أي مدى تؤثر القرارات السياسية على الضحايا. لذا فهو عمل مميز وممتع جدًّا بالنسبة لي ■

★ رباب الرفاعي هي مديرة المركز الإقليمي للإعلام باللجنة الدولية للصليب الأحمر، أما زينب غصن فهي نائب مدير المركز الإقليمي ورئيس تحرير مجلة الإنساني.

★★ أجريت المقابلة قبل انعقاد القمة العالمية للعمل الإنساني (في أيار/ مايو الماضي).

★★★ المال المخصص هو ما تقدمه بعض الدول المانحة لدعم برامج إنسانية بعينها.

تستلزم تعاونًا دوليًّا للمشاركة في تحمل الأعباء

أزمة اللاجئين السوريين كشفت عن فراغ قانوني

إبراهيم عوض*

أفضت الصراعات العسكرية الأخيرة في الشرق الأوسط إلى تفاقم أزمة اللاجئين بشكل غير مسبوق. فر الملايين من بلادهم خوفًا على حياتهم. هذه السطور تتناول التحديات العملية والقانونية التي فرضتها الموجة الأخيرة من اللجوء.

AFP

* أستاذ العلاقات الدولية ومدير مركز دراسات الهجرة واللاجئين بالجامعة الأميركية بالقاهرة.

صدرت عن البلدان العربية، في العقود السبعة الماضية، موجات متلاحقة من اللاجئين، أقدم هذه الموجات هي موجة اللاجئين الفلسطينيين الذين بحثوا عن المأوى والحماية وسبل الإعاشة في البلدان المتاخمة لفلسطين، أي في الأردن ولبنان وسُورِيَّة وبأعداد أقل في العراق ومصر. وفي العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، وصلت تدفقات اللاجئين العراقيين إلى الأردن وسُورِيَّة، وكذلك إلى مصر ولبنان. الانتفاضة السُورِيَّة التي بدأت في آذار/ مارس 2011 نتجت عنها تدفقات للاجئين سرعان ما ارتفعت أعدادها وتضاعفت. اللاجئون من سُورِيَّة شملوا فلسطينيين كانوا مقيمين فيها بعد أن لجأوا إليها منذ العام 1948 ولم يغادروها في غيبة حل لقضيتهم. اتجهت التدفقات أساسًا إلى لبنان والأردن وتركيا والعراق، وكلها دول متاخمة لسُورِيَّة، وكذلك إلى مصر.

موجة اللجوء الحالية

سرعان ما أصبح لبنان أكبر بلد في التاريخ في إيواء اللاجئين نسبة إلى حجم سكانه، فقد استقبل ما يناهز 1,5 مليون مهاجر، ما بين مسجل وغير مسجل، يمثلون 25 في المائة من عدد سكانه. وفي الأردن، بلغ عدد اللاجئين السُورِيين 700 ألف شخص، يمثلون 8 في المائة من سكانه. وعندما وصل هذان البلدان إلى درجة التشبع باللاجئين السُورِيين في العام 2014، توجهت تدفقات جديدة، وتدفقات سابقة من لاجئين يبحثون عن بلد لجوء ثان، إلى تركيا التي تجاوز عدد اللاجئين فيها المليونين ثم المليونين ونصف المليون. لكن تدفقات اللاجئين لم تبق كلها في تركيا، فقد فاضت ووصلت إلى أوروبا. عبر اللاجئون بحر **إيجة** ووصلوا إلى جزر اليونان، بغية مواصلة رحلة لجوئهم إلى الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي في شمال القارة. لاجئون آخرون سلكوا طريق بلغاريا والصرب والمجر وفي نيتهم هم أيضًا الوصول إلى بلدان شمال أوروبا كألمانيا والسويد. تدفقات اللاجئين التي وصلت إلى أوروبا نمت بشكل هائل في العام 2014 ثم في العام 2015. مع اللاجئين الصادرين عن سُورِيَّة، وصل آخرون من العراق ومن بلدان أبعد مثل أفغانستان وإريتريا. ومنذ البداية، كانت التدفقات مختلطة، جمعت لاجئين ومهاجرين من العراق وباكستان وبنجلاديش ومن بلدان غرب أفريقيا.

إشكاليات قانونية وعملية

تدفقات اللاجئين السُورِيين تثير قضية أساسية في العلاقات الدولية والقانون الدولي ألا وهي تلك الخاصة بالنظام الدولي للاجئين. المقصود بالنظام الدولي هنا هو مجموع المبادئ والقواعد والمعايير وإجراءات اتخاذ القرار المتفق عليها بشأن الحق في اللجوء. النظام الدولي بهذا المعنى يتعلق بالإطار القانوني الدولي الذي ينظم اللجوء وكذلك بالتعاون الدولي في تحمل أعباء اللجوء الذي ينص عليه هذا الإطار. **اتفاقية عام 1951 الخاصة بوضع اللاجئين** هي الحاكمة لحماية اللاجئين، وتوفير سبل إعاشتهم، ووضع الحلول الدائمة لأوضاع كل منهم. هذه الموضوعات الثلاثة للاتفاقية مترابطة، فتوفير سبل الإعاشة لا مجال له إن لم يلق اللاجئون الحماية، وعدم توفر الحلول الدائمة يؤثر على قدرة البلدان المضيفة على توفير سبل إعاشة مستدامة للاجئين. أما الحلول الدائمة فهي العودة الطوعية للاجئين إلى أوطانهم، أو التوطين والاندماج في بلد الملجأ، أو إعادة التوطين في بلد ثالث.

مصر هي الدولة الوحيدة في الشرق الأوسط التي صدقت على **اتفاقية عام 1951 الخاصة بوضع اللاجئين.** لا الأردن، ولا لبنان، ولا العراق، ولا تركيا فيما يخص اللاجئين من خارج القارة الأوروبية، أطراف في هذه الاتفاقية. ومع ذلك، فإن كل هذه البلدان، وبمقتضى القانون الدولي العرفي، استقبلت اللاجئين السُورِيين ووفرت لهم الحماية. غير أن الحماية، وخاصة الاستمرار في توفيرها، كما سبق، مرتبطة بسبل الإعاشة وبالحلول الدائمة. لبنان والأردن بلدان ناميان صغيران يواجهان المشكلات التقليدية للبلدان النامية، لا يقوى الاقتصاد ولا المالية العامة في كل منهما على الوفاء باحتياجات المواطنين في كل من البلدين، ناهيك عن اللاجئين. وسوق العمل في كل منهما عاجزة عن استيعاب العمال من بين المهاجرين. أما

REUTERS

مصر، فهي تمرُّ بأزمة اقتصادية ممتدة.

ألقت أزمة اللجوء السُّورِيَّة الضوء من جديد على الفراغ القانوني في التعامل مع التدفقات الجماعية للاجئين. بعد الحرب العالمية الثانية، نشأ النظام الدولي للمهاجرين المستند إلى اتفاقية العام 1951 بغرض التعامل مع لاجئين أفراد أو مجموعات منهم على أقصى تقدير، وليس مع التدفقات هائلة الحجم التي خبرها العالم النامي في الخمسين عامًا الماضية.

تحمل أعباء اللاجئين

التعاون الدولي في تحمل أعباء اللاجئين عنصر أساسي في النظام الدولي للجوء. ولكنه يتخذ شكلًا جنينيًّا. الفقرة الرابعة من ديباجة **اتفاقية العام 1951** تنصُّ على أنه لا يمكن حلُّ مشكلة من مشاكل اللاجئين، تعترف الأمم المتحدة بأبعادها الدولية، دون التعاون الدولي في تحمل الأعباء المترتبة عليها. غير أن الاتفاقية تتوقف عند ذلك، وهي لا تفرد أي مادة فيها للتفصيل في أشكال هذا التعاون، وفي حسابه، وفي الطابع الإلزامي له، وفي سبل الوفاء به. الحاجة إلى التعاون الدولي جلية لا لبس فيها في حالة البلدان النامية. بشأن اللاجئين السُّورِيين، بلدان الملجأ لا تستطيع إدماجهم فيها للأسباب الاقتصادية المذكورة أعلاه فضلًا عن أسباب أخرى سياسية عظيمة الأهمية في البعض منها. لذلك فإن التعاون الدولي حيوي للتصدي لمسألة اللاجئين السُّورِيين بشكل يكفل حقهم في الحماية وفي سبل إعاشة لائقة.

والتعاون الدولي هو أيضًا في صالح البلدان المصنعة المتقدمة، بما في ذلك الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي التي أخذ اللاجئون السُّورِيون، مع غيرهم، يقصدونها بعد أن تشبعت بهم الدول المتاخمة لسُورِيَّة، لأنه يؤدي إلى خفض التدفقات المفاجئة وغير المتوقعة للاجئين. ولكن التعاون الدولي يمكِّنها أيضًا من أن تخطط مسبقًا، وأن تصوغ سياسات لاستقبال اللاجئين، وللتعامل مع طلبات اللجوء التي يقدمونها، ولإيوائهم. بالممارسة، وليس استنادًا إلى أي نص قانوني، اتخذ التعاون الدولي، في أزمة لاجئين بعد أخرى، شكل المعونة المالية والتقنية، وفرص إعادة التوطين. أزمة اللاجئين هي وجه آخر لأزمة التعاون الدولي في تحمل أعبائهم. من الواضح أن التعاون الدولي الذي توفر لبلدان اللجوء الأولى التي قصدها اللاجئون السُّورِيون في المنطقة لم يكن كافيًا. لا أحد يجادل في أن فرص إعادة التوطين شحيحة للغاية.

في ربيع العام 2015، قدمت **المفوضية الأوروبية** مقترحات بشأن اشتراك الدول الأعضاء في **الاتحاد الأوروبي** في تحمل أعباء اللاجئين السُّورِيين الذين وصلوا إلى القارة الأوروبية فتكشف مستوى آخر لأزمة التعاون الدولي وهو مستوى التعاون داخل الاتحاد الأوروبي ذاته. في مقترحاتها المذكورة لنزع فتيل أزمة اللاجئين السُّورِيين، جددت المفوضية الأوروبية عندما أضافت إلى الأشكال التقليدية الثلاثة للحلول الدائمة أشكالًا غير مسبوقة مثل القبول لأسباب إنسانية، والكفالة الخاصة. وها هو **الاتحاد الأوروبي** في مجمله يقرُّ ضمنًا بمصلحته في توفير التعاون الدولي بالاتفاق الذي عقده مع تركيا (في آذار/مارس الماضي) الذي تعهد بمقتضاه بتقديم معونة مالية لها في مقابل إبقائها على اللاجئين في أراضيها، بل وقبول إعادة بعضهم إليها إن لم تنطبق عليهم، في رأي الاتحاد، شروط التمتع بوضع اللاجئين. الاتفاق أثار ويثير تساؤلات عديدة بشأن اتساقه مع القانون الدولي ولكن ما يهمنا هنا فيه هو اتخاذه لواحد من أشكال التعاون الدولي.

إن الحاجة ماسة لطرح مسألة التعاون الدولي في تحمل أعباء اللاجئين، من سُورِيَّة ومن غيرها. بالإضافة إلى محاولات التجديد التي أثارتها أزمة اللاجئين السُّورِيين فإن هناك مثالًا من ماض ليس بعيدًا يمكن الاستفادة به عند طرح المسألة على النقاش الدولي وهو مثال التصدي الناجح لمسألة اللاجئين الفيتناميين في نهاية السبعينيات من القرن العشرين. ليس ضروريًّا الوصول مباشرة إلى تعديل اتفاقية العام 1951 أو إلى إبرام اتفاقية ملزمة جديدة تخص التعاون الدولي. الحالة الراهنة للنظام الدولي تدعو للتواضع في الآمال المرجوة. ولكنه يمكن مناقشة جوانب التعاون الدولي كافة في تحمل أعباء اللاجئين في حالة التدفقات الجماعية، وتفصيل أشكاله ومعاييره وأسس حسابه وشروط تقديمه والاستفادة به، وأن تتخذ هذه كلها شكل الخطوط التوجيهية، أي القانون الدولي الرخو، انتظارًا ليوم أفضل في العلاقات الدولية ■

الحالة الراهنة للنظام الدولي تدعو للتواضع في الآمال المرجوة بخصوص اللاجئين

بافل كشيشيك*

AFP

عن المناطق المحاصرة في سورية:

«أراد أن يعود إلى داره. وعندما مات شعرت بأنني خذلته»

ترنو آمال السكان في المناطق المحاصرة في سورية إلى المنظمات الدولية طلبًا لرفع الحصار وتخفيف المعاناة. ويمور الغضبُ بين جوانح الأهالي بسبب بطء الاستجابة وعدم كفاية المساعدات. هذه السطور تلقى الضوء على حال سكان بعض المناطق المحاصرة التي وصلتها المساعدات بعد طول انتظار.

في نيسان/ أبريل الماضي اتجهتُ في رحلة للمرة السادسة إلى منطقة محاصرة في سورية، مدينة اسمها **الرستن**، تبعد عن **حمص** شمالًا مسيرة نصف ساعة بالسيارة. كنتُ ضمن فريق مشترك أرسلته **اللجنة الدولية للصليب الأحمر** و**الهلال الأحمر العربي السوري** لإيصال مساعدات إنسانية إلى أكثر من 120,000 شخص للمرة الأولى منذ أكثر من عام. عبرنا خط الجبهة خلال النهار، بعكس الزيارات السابقة للمناطق المحاصرة عندما كان يُسمح لنا بالدخول بوجه عام بعد حلول الظلام فقط، ومكثنا هناك حتى انقضى الشطر الأكبر من الليل. لكل رحلة من هذا النوع تحدياتها الخاصة، لكنها لا تقارَن بالصعوبات اليومية التي يواجهها الناس في المناطق المحاصرة.

ما يثير الحزن أن أماكن مثل **الرستن**، حيث وجد المدنيون أنفسهم بين رحى القوى المتحاربة، أصبحت واقعًا شائعًا في مشهد النزاع السوري. إذ يتكبد السكان كلفة هائلة ويكافحون من أجل النجاة في مناطق خطرة حيث الشُّح في الغذاء والمياه والرعاية الصحية والأمن هو الأمر السائد. **الرستن** مدينة جميلة خضراء، تغطي تلالَها أرضٌ زراعية مشهورة بأشجار الزيتون والخضروات. وتمتد الحجارة السوداء التي تميزها مدَّ البصر، وصولًا إلى الجبال في الأفق. وقد كان السكان يعيشون هنا حياتهم المستقرة قبل اندلاع الحرب. لم يعد بإمكانهم ذلك بعد اشتعال فتيل النزاع. صارت مزارع **الرستن** جبهات قتال. والزيتون، الذي كان يومًا مصدر دخل لهم، صار غذاءً رئيسيًّا. وبالنسبة للسكان المحليين الذين قرروا الاستمرار في نشاط الزراعة، صارت الحياة معركة خطرة يخوضونها تحت الحصار أملًا في النجاة. وقد وصف أحد الأطباء المحليين الحصار بأنه «حياة الأموات»: «**يصحو المرء منّا وينصرف إلى أنشطته اليومية يتنفس وما هو بحيٍّ. فليس هناك مجال لتطوير الذات، ولا إمكانية للوصول إلى الكتب، ولا حلقات دراسية مع الزملاء. فالطبيب يعمل لإنقاذ الأرواح، إن كانت أمامه أضعف فرصة ممكنة. وغالبًا ما يكون هذا أمرًا صعب المنال. ويستمر بنا الحال تحت وطأة الحرب ونحن**

* Pawel Krzysiek المتحدث الرسمي باسم اللجنة الدولية في سورية، وقد نُشر المقال لأول مرة بالإنجليزية في صحيفة الجارديان البريطانية في نيسان/ أبريل 2016.

في انتظار، سنة تتلوها أخرى وثالثة ورابعة وخامسة، نقتات على أمل انتهاء هذه المحنة يومًا ما».

في مطلع شباط/ فبراير الماضي انتظرنا لساعات عند بوابات **المعضمية**، وهي منطقة أخرى محاصرة قريبة من **دمشق**. احتشد آلاف السكان عند أطراف المنطقة العازلة خارج البلدة، يترقبون وصولنا بالمساعدات الغذائية والأدوية. ذات مرة التقيت داخل المدينة بـ **سلام** (14 عامًا) التي كانت تعاني من مشكلات صحية بالكبد كان من المستحيل العثور على علاج وأدوية لها في منطقة محاصرة كهذه. بصوت متهدِّج وعيون ملؤها الدموع وصفتْ **سلام** مشاعرها وإحساسها بعبثية الحياة. وتساءلتْ عن سبب استمرارها في الذهاب إلى المدرسة في الوقت الذي لا ترى فيه مستقبَلًا في الأفق. هذا القنوط خيط شائع في أوساط السكان الذين التقيت بهم في المناطق الواقعة تحت وطأة الحصار.

تبعد بلدة **مضايا** عن دمشق بضع عشرات من الأمتار لكن الحواجز الأمنية تجعل الرحلة تمتد ساعات عديدة. **ومضايا** واحدة من بين البلدات التي يتواصل فيها القتال بين القوات السورية الحكومية وجماعات المعارضة المسلحة منذ سنوات. وفي كانون الثاني/ يناير كنتُ ضمن قافلة استغرقها الوصول إلى المنطقة ست ساعات. كان البرد قارسًا وحلَّ الظلام عندما دخلنا **مضايا**. وماجت نفوس الذين استقبلونا وحيُّونا بمزيج من الأمل وعدم التصديق حتى بدا ذلك على صفحات وجوههم. وكان سؤالهم الأساسي: «**هل جلبتم غذاء**؟» إن كسرة الخبز أو قطعة الكعك بحد ذاتها صارت ضربًا من الترف في **مضايا**. وأخبرتني إحدى الأمهات إنها لم تعرف كيف سيتسنى لها أن تقول لصغارها إنهم قد لا تتاح لهم سوى وجبة واحدة في اليوم. يسكن **مضايا** أكثر من 40 ألف شخص. آثار الدمار في كل مكان ولا وجود لماء جارٍ أو كهرباء. ويعتمد السكان هناك على مركز صحي وحيد، فقير في معداته، لا يعمل إلا بجزء من طاقته، لا يقوم على تشغيله سوى طبيب واحد وطاقم طبي محدود. هناك، أمسك رجل مسنٌّ بيدي عانى من جلطة، وفهمتُ من غمغمته أنه يريد أن يعود إلى داره. وأوضح لي الطاقم الطبي بنبرة خافتة أن الرجل لا يرغب في أن يموت في المستشفى. بعد بضعة أيام تلقيتُ مكالمة هاتفية من الطبيب في **مضايا** يخبرني أن روح الرجل فاضت بالفعل في منزله. كان الرجل بحاجة إلى إمدادات طبية متخصصة وكان أقصى ما بوسعي أن أقدم له أن أمسك بيده. شعرتُ حينها بأنني خذلت الرجل.

قضينا الليل بأكمله في **مضايا** في تفريغ حمولة المساعدات المنقِذة للحياة المكونة من مواد غذائية وأدوية. تحدثنا إلى عشرات السكان، وأخبَرَنا كل فرد من بينهم بحكاية تنضح بالأسى عن وضعهم تحت الحصار. وخشي الجميع أننا لن يسمح لنا في المرة القادمة بالدخول إليها. نجحنا في العودة إلى مضايا لكن استغرقت المفاوضات أسابيع وتطلبت تزامن تسليم المساعدات لمناطق أخرى، وهو ما أضفى صعوبة خاصة على عمليات إيصال المساعدات.

في الوقت الحالي ثمة حالة من السكون في القتال في سورية، لكن الحياة تغيرت قليلًا بالنسبة لزهاء نصف مليون شخص يقطنون إما مناطق محاصرة أو يصعب الوصول إليها. المساعدات التي وصلت إلى الناس قليلة للغاية ووزعت على مناطق معدودة. بعض هذه المناطق بلدات صارت مجرد أنقاض بفعل القصف، مثل **الزبداني**. وبعضها، مثل **المعضمية** و**مضايا**، صار الجزء الأكبر فيها مهجورًا لكن ليست كالبلدات المهجورة بالكامل التي لا يمكننا الدخول إليها إلا ليلًا. مناطق أخرى، مثل **دير الزور**، تتميز بكثافتها السكانية المرتفعة. أمَّا **الرستن** و**الحولة** و**الفوعة** و**كفريا** فتعدُّ من بين البلدات الصغيرة أو القرى العديدة المحاطة بمزارع غير مستغلة. تختلف المنطقة الواحدة من بينها عن الأخرى لكنها تتشابه فيما بينها أيضًا. فهي كمعتقَلات صغيرة طواها النسيان في خضم حرب مستعرة.

أهل هذه القرى والبلدات شجعان وصامدون، لهم صوت وروح، هم يتوقون إلى حياة منصفة وحسب ■

صارت مزارع الرستن جبهات قتال، وبات الزيتون هو الغذاء الرئيسي لهم

♦

القنوط خيط شائع في أوساط السكان الذين التقيت بهم في المناطق الواقعة تحت وطأة الحصار

محمد علام*

لولا «المواطن الصحفي» لما رأينا الصور التي تضم مئات الآلاف من المتظاهرين في ميادين مصر وتونس، أو مقاطع الفيديو التي توثق يوميات الحرب والمعاناة في سورية، أو غيرها الكثير من نقل حي لأحداث متسارعة تشهدها المنطقة العربية.

عجز الإعلام التقليدي فتح نافذة لإعلام بديل:

الربيع العربي وصراعاته بعدسة المواطن الصحفي

برزت مصطلحات «**الصحافة الشعبية**» و«**صحافة المواطن**» و«**الإعلام البديل**» و«**الإعلام التشاركي**» بقوة على الساحة العربية منذ العام 2011 إثر خروج التظاهرات الحاشدة الداعية للتغيير فيما سمي بـ «الربيع العربي». لم تقتصر التغطية الإعلامية للاحتجاجات الحاشدة والاشتباكات الدامية على الوسائل التقليدية مثل التليفزيون والصحف والمواقع الإلكترونية، وإنما امتدت لتشمل حسابات الأفراد على مواقع التواصل الاجتماعي. أصبح بإمكان أي شخص يحمل هاتفًا به كاميرا أن يتحول إلى مصور صحافي ينقل الحدث فور وقوعه ويشاركه مع آخرين.

ويقول خبراء: إن بروز صحافة المواطن أثناء «الربيع العربي» يرجع إلى جملة من العوامل منها عجز وسائل الإعلام التقليدية عن نقل بعض الأحداث الهامة سواء بسبب الرقابة الحكومية أو المؤسسية على وسائل الإعلام، أو بسبب ندرة وجود مراسلين مؤهلين لتغطية هذا النوع من الأحداث الجماهيرية الضخمة التي لا تخلو في أحيان كثيرة من العنف والاضطرابات. خلق هذا البعد عن الأحداث من قِبل الصحافة التقليدية فجوة، استغلتها صحافة المواطن المتحررة أصلًا من أعباء الرقابة والتحكم المالي. أصبحت هذه الأدوات الإعلامية الجديدة هي ما تنقل صوت ونبض الشارع. وهو ما جعل البعض يطلق عليها مصطلح «صحافة الشارع».

REUTERS

مغزى الإعلام الجديد

تعتمد الصحافة الشعبية بشكل أساسي على التقنية التي تداخلت مع كل أوجه الحياة المعاصرة، لا سيما النشر الإلكتروني. فالهاتف الذكي أصبح مزودًا بكاميرات دقيقة، وشاشات كبيرة تساعد على الكتابة بسهولة، وبطاريات سريعة الشحن، والأهم من كل ذلك اتصاله المباشر والدائم بشبكة الإنترنت، مما يُسهل عملية نقل الأحداث على مواقع وتطبيقات صُممت خصيصًا لبث الفيديو المباشر مثل **بامبيوزر** (Bambuser) **وبريسكوب** (Periscope) **وميركات** (Meerkat). حفزت هذه

المنصات شبكة التواصل الاجتماعي الأشهر «فيسبوك» إلى إضافة خاصية البث المباشر. ولعل أهم ما يميز صحافة المواطن، هو اعتمادها على المحتوى الذي ينتجه المستخدم (User Generated Content) وهو تطور نابع من رحم الإعلام الجديد (New Media). يختلف الإعلام الجديد عن التقليدي في إعطائه دورًا جديدًا للجمهور. فلم يَعُد الجمهور هو الفئة المستهدفة المتلقية للرسائل الإعلامية فحسب، بل تحول جزء من هذا الجمهور لمُنتج ومُشارك في صُنع محتوى خبري ينافس المحتوى الاحترافي الذي تنتجه المؤسسات الإعلامية، ويؤثر في الرأي العام الذي يتلقاه.

انتقادات

بالرغم من أهمية دور «**الناشط الإعلامي**» أو «**المواطن الصحفي**» في نقل المعلومة من مناطق يصعب الوصول إليها، لا سيما في مناطق النزاعات والاضطرابات، فإنه لا يتمتع بالضرورة بالمقومات والمؤهلات التي تجعله صحافيًّا. فالصحفي الممارس للمهنة غالبًا ما يكون دارسًا لعلوم وفنون الاتصال والإعلام، وملمًّا بضوابط وقواعد مثل الموضوعية في التغطية والصياغة الاحترافية وغيرها من المهارات التي يفتقر إليها المواطن الصحفي. يمثل الانحياز وغياب الموضوعية أهم الانتقادات الموجهة لصحافة المواطن. فالمواطن الصحفي إن لم يتأثر بميوله السياسية، فهو بالتأكيد متأثر بقناعات أخلاقية. وهنا يرى خبراء أن الصحفي ينبغي له أن يلتزم فقط بمعايير مهنية، فلا يمارس دور الناشط والصحفي في الوقت نفسه. من ناحية أخرى، يمكن القول بأنه لولا بروز ظاهرة النشطاء الإعلاميين المتأثرين بأخلاقيات ومبادئ معينة، لما وصلَنا ما رأيناه من «فضح» لممارسات قمع وتعذيب ومحاولات قتل لحرية الرأي والتعبير في بعض البلدان.

هناك وجه آخر للنقد يتمثل في غياب الضوابط التي تحكم عمل المواطن الصحفي. ماذا إذا أخطأ المواطن الصحفي، فمن سيحاسبه؟ ربما يكون سبب انتشار الشائعات والأخبار المغلوطة على الإنترنت نتاجًا مباشرًا أو غير مباشر للصحافة الشعبية غير المتمتعة بمهنية في نقل ونشر المعلومة. ولكن لكل فعل رد فعل، فقد برزت مؤخرًا ظاهرة جديدة تتمثل في إنشاء مواقع وصفحات هدفها التحقق من صحة ودقة الأخبار المتداولة على الشبكات الاجتماعية. هذه المنصات يمكنها «ترويض» الصحافة الشعبية عن طريق التوعية بأهمية الخبر والمعلومة وأخطار تناقل الشائعات؛ وهو ما بدأ بالفعل في بعض البلدان الغربية والعربية من مبادرات لتدريب المواطنين الصحفيين على مبادئ ومعايير الصحافة المهنية.

ولا تنفرد منطقة الشرق الأوسط بالطبع بظاهرة «المواطن الصحفي»، ذلك لأن هذا المواطن الصحفي موجود في مناطق العالم المختلفة، ونجح في إعطاء زخم لقضايا ربما غابت عن التغطية الإعلامية التقليدية اليومية. فقد كان له السبق في تصوير فيديو قتل شرطي لمواطن أعزل في مدينة **فيرجسون** الأميركية، تلك القضية التي اتخذت طابعًا عرقيًّا، وجذبت اهتمام الرأي العام الأمريكي. وفي البرازيل، إبان الحركات الاحتجاجية في أواخر العام 2013، أطلق بعض النشطاء الإعلاميين على أنفسهم اسم «ميديا نينجا»، وقد جذبوا الاهتمام العالمي بتغطيتهم المتميزة والحية من شوارع البرازيل. أما في الهند، فللمواطن الصحفي دور مختلف قليلًا، فهو يسلط الضوء على قضايا الفساد والفقر المنتشر في مناطق نائية لا تحظى غالبًا بتغطية الإعلام التقليدي. وفي جنوب أفريقيا، اختير **شيليدزي توانى** (Tshilidzi Tuwani) كأفضل مواطن صحفي في العام 2014، وذلك لتسليطه الضوء على قضايا هامة مثل التحديات التي يواجهها العاملون في مجال الرعاية الصحية وحق المرضى في الحصول على الدواء.

بالعودة للمنطقة العربية، تدين الثورات العربية للمواطن الصحفي بالشكر للمساعدة على الحشد والتوعية ونقل الصورة من كل مكان وفي كل الأوقات. فنجاح الصحافة الشعبية في تجاوز قصور وعجز الصحافة التقليدية، أثبت قدرتها في التأثير على الواقع وتشكيل موجة ثورية جديدة في نظم وأطر الإعلام والصحافة. وبتعزيزها للاستقلالية في استقصاء الأحداث ومشاركة الجمهور في اختيار الأولويات، تلعب الصحافة الشعبية دورًا محوريًّا في صنع تفاعل ما لبثت الصحافة التقليدية أن تبنته وخصصت له مساحات دائمة سواءً على برامجها التليفزيونية والإذاعية أو على صفحاتها الورقية والإلكترونية ■

الانحياز وغياب الموضوعية أهم الانتقادات الموجهة لصحافة المواطن

إن لم يتأثر المواطن الصحفي بميوله السياسية، هو بالتأكيد متأثر بقناعات أخلاقية

REUTERS

أهمية دور الناشط الإعلامي لا تعني أنه يتمتع بالضرورة بالمقومات والمؤهلات التي تجعله صحفيًّا

* محلل إعلام اجتماعي في «المركز الإقليمي للإعلام» ببعثة اللجنة الدولية في القاهرة.

من صحافي محلي إلى مراسل حربي...

ما لا يغطيه الإعلام لا يُكتب في التاريخ

عبير سعدي*

«الحرب دقت بابنا... جريت مثل الجميع، لكني أدركت أن تاريخًا مزيفًا سيُكتب، فبقيت حتى أوثق ما أراه». هكذا سرد مصور صحافي سوري، قصته التي بدأت في مدينته دير الزور. التفاصيل تختلف لكن الجوهر واحد. قصة تبدأ بمواطن حاصرته الثورات العربية التي انقلب بعضها إلى حروب.

الحياة ليست كلها اختيارات. المراسل الحربي تخصص محدد يختاره الصحافي عادة بعد الخضوع لتدريبات متخصصة للعمل في بيئات معادية، يراعي فيها العوامل المهنية والبدنية والنفسية. بعدها يسافر إلى البلد الذي يشهد صراعًا أو حربًا ليغطي الأحداث ثم يعود لوطنه. الوضع يختلف للصحافي المحلي والمواطن الصحافي. كلاهما دقت الحرب بابه وحاصرته. الثمن الذي يدفعه قد لا يقتصر على إصابته أو حتى فقدان حياته. الأمر يمتد لسمعته وحياة أسرته وأصدقائه وجيرانه. صديق صحافي مصور من **حلب** ذهب لتصوير مدرسة تعرضت لقصف جوي. يؤمن هذا الصديق أن هدفه هو فضح العدوان على الأطفال، وبينما هو منهمك في عمله فوجئ بجثة ابن صديقه. جمع الأشلاء، وهو مصدوم، وقرر هجر الصحافة التي بلا قلب، على حد قوله. بعد أيام عاد ليفضح عدوانًا آخر. القصة نفسها سمعتها من صحافي ليبي فوجئ بجثماني صديق عمره وجاره خلال تغطيته لقصف طريق. هو أيضًا عاد لعمله. السبب فسره لي زميل ثالث بمدينة **حلابجة** بإقليم **كردستان العراق** قائلًا: «**الأحداث التي لا يتناولها الإعلام بالتغطية لا تكتب في التاريخ**».

توثيق الصراع

كثيرًا ما أتلقى سؤالًا خلال تدريبات السلامة المهنية التي أقدمها، خاصة بعد بدء انتفاضات وثورات المنطقة العربية، ماذا لو خُيرت بين عملك والمشاركة في حدث تؤيده؟ إجابتي كانت تبدأ بعرض مجموعة تغطيات منها الفيديو الشهير لمواجهة قوات الأمن المصرية لآلاف المتظاهرين فوق **كوبري قصر النيل** قبل دخول المتظاهرين **ميدان التحرير** عصر يوم 28 كانون الثاني/ يناير 2011. كانت الزميلة **نورا يونس** مع فريق العمل في صحيفة **المصري اليوم** في شرفة فندق مجاور تصور المشهد المهيب. «**كنت أعلم أن أمي وزوجي وابني بين المتظاهرين**

REUTERS

* صحافية مصرية غطت حروبًا عدة في المنطقة

REUTERS

إذا لم تكن الصورة
جيدة بشكل كاف،
فهذا يعني أنك لم تقترب
بالقدر الكافي

REUTERS

لماذا تكتفون بتقدير الأكثر شجاعة واختيارًا لطريق المخاطر، لماذا لا تقدرون من يدرك متى يتوقف عن المجازفة

القادمين من اتجاه الجيزة، وربما كانوا بين الجموع التي يتم دهسها بالسيارات المصفحة وإلقاء الغاز المسيل للدموع عليها... كان عليَّ أن أختار، في ظل قطع الاتصالات كافة في هذا اليوم، بين التخلي عن الكاميرا والنزول لأكون جسدًا وصوتًا إضافيًّا وسط الجموع أو أن أبقى لأوثق الحدث». **نورا** اختارت أن تبقى وتوثق، لذا علمنا أن هناك من قضى نحبه في هذه البقعة. نعم هناك بعض الاختيارات لكن معظمها مر. كيف يمكن للصحافي المحلي أن يفصل نفسه نفسيًّا عن الحدث الجلل الذي يعيشه ويوثقه بإتقان؟ الإجابة هي أن تذكر نفسك دائمًا بسبب وجودك في موقع الحدث. التوثيق دليل حدوث كارثة أو اعتداء ما. لا تكن جزءًا من الحدث، وتذكر أن أحداثًا كثيرة وقعت، ولم نعرف بها لأن أحدًا لم يوثقها. لكن هل **عليَّ** أن أساعد من بموقع الحدث؟ الإجابة تستلزم سؤالًا آخر عما إذا كان بالموقع أشخاص آخرون يقدمون المساعدة؟ إذا كان هنا من يقدم المساعدة، ففي هذه الحالة ركز في عملك، أما إذا كنت الشخص الوحيد، فاسأل نفسك كمصور، هل لديَّ ولو دقيقة لالتقاط الصورة ثم المساعدة. إذا استطعت، التقط الصورة ثم ساعد الضحية، أما إذا لم تكن هناك دقيقة فأنقذ الشخص لأن الحياة الإنسانية هي الأغلى. الواقع هو أن النقاش السابق يستغرق حياة كاملة ليستطيع المصور مُسامَحة نفسه على ذنب لم يقترفه غالبًا، ويزيد إحساسه بالذنب إذا كان صحافيًّا محليًّا يعيش في موقع الحدث. أعرف صحافيين اضطروا لجمع أشلاء أصدقائهم وأطفالهم. أعتذر لاستحضار تلك الصورة ولكنها مهمة لإدراك قسوة الحرب ووطأتها على الجميع، فما بالك بمصور مهمته توثيق مقتل أهله والاعتداء عليهم.

كنت حتى وقت قريب أدرب الصحافيين على تغطية الحروب والنزاعات وأعرض عليهم مشاهد القتال دون أن أدري أنني أعرضهم دون قصد مني لاسترجاع ذكرياتهم وإيذائهم نفسيًّا حتى نبهتني صديقة معالجة نفسية. التقيت مؤخرًا بمدير **مركز «دارت» للصحافة والصدمات** (The Dart Center for Journalism and Trauma)، **وهي** شبكة تهدف لتحسين التغطية الإعلامية للصدمات والنزاعات والكوارث. قدم لي مدير المركز مجموعة من النصائح. بدأ حديثه بتساؤل منطقي لنا معشر الصحافيين: «**لماذا تكتفون بتقدير الأكثر شجاعة واختيارًا لطريق المخاطر، لماذا لا تقدرون من يدرك متى يتوقف عن المجازفة. أنتم تقتلون زملاءكم، إن لم يكن بالحرب فبآثارها**». هذا الكلام فتح عينيَّ على عالم متكامل قائم على علاج من يتعرضون للصدمات، خاصة الصحافيين أو العاملين في المجالات الإنسانية. وجدت أن تدريبي المتخصص لن يستقيم دون أن أقوم بدور يشبه المعالج النفسي، ليس فقط للمتدربين بل لطريقة تعاملهم مع الضحايا في الحروب والكوارث. أنتج الزملاء في صحيفة **المصري اليوم** فيلمًا بعنوان **الثورة خبر**، وثقوا فيه تجارب خمسة منهم كان عليهم الاختيار عند تغطية **ثورة 25 يناير** بين المشاركة

في الحدث أو تغطيته. كان الاختيار صعبًا، لكنهم اختاروا التوثيق وتحولوا فيما بعد من صحافي محلي إلى مراسل حربي، منهم من قابلت لحظة دخول الكتائب المعارضة للعاصمة الليبية **طرابلس** وتحديدًا **باب العزيزية**. الحال نفسه مع باقي الزملاء الذين غطوا الأحداث في سورية والعراق.

اقترب بشكل كافٍ

«إذا لم تكن الصورة جيدة بشكل كاف، فهذا يعني أنك لم تقترب بالقدر الكافي»، عبارة يدركها كل مصور، خاصة مصوري الحروب والصراعات، الذين يعرفون أن اقترابهم من الحدث قد يكلفهم حياتهم. عملت بجوار مصورين على خط النار في تغطياتي الصحافية لحروب مختلفة. القاسم المشترك كان شجاعة كل مصور اختار الحرب ميدانًا لعمله. المرات التي كدت أصاب فيها كانت بسبب الكاميرا، فخلال الحرب، يستهدف الجميع الكاميرا، ويصبح المصور الصحافي وراء الكاميرا هو الضحية في حالات كثيرة.

رزان (اسم مستعار) فتاة سورية من مدينة **الرقة** السورية، اختارت القيام برحلة خطيرة. ارتدت نقابًا يخفي هويتها وذهبت مسلحة بكاميرا صغيرة أخفتها في حقيبة يدها. صورت المدينة في أوقات القتال، وهو أمر كاد أن يكلفها حياتها. لكن من يحمي رزان وغيرها من الصحافيين المحليين؟ العالم لم ينتبه لمأساة الصحافيين في مناطق عدة من الشرق الأوسط إلا بعد مقتل العشرات منهم عمدًا. كرست عامًا من حياتي لإنجاز رسالة ماجستير عن الفيديوهات التي يصورها الصحافيون في مناطق الصراع المسلح في الشرق الأوسط. تحركت قرب مناطق الصراع، لأستكشف كيف وقع الصحافيون المحليون بين مطرقة وسندان الجماعات المتناحرة. عدد الصحافيين المحليين الذين سقطوا ضحايا الصراعات غير محدد. لكن عمومًا، لا يحظى الصحافيون المحليون إلا بقليل من الاهتمام إذا وقع عليهم اعتداء. أرجو أن تلتمسوا لي عذرًا حين أردد ما قلته في جلسة سلامة الصحافيين التي عقدتها **مفوضية حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة بجنيف** قبل عام. إذا كنت أشير بتسعة أصابع اتهام لقتلة الصحافيين

إفلات قتلة الصحافيين والمعتدين عليهم من العقاب، هو ما يشجع على تكرار الاعتداءات

والمعتدين عليهم، فإن الأصبع العاشر لابد أن يوجه لبعض وكالات الأنباء والصحف العالمية التي تستغل هؤلاء الصحافيين لتغطية الأحداث العنيفة التي تقع في أوطانهم، دون أدنى مسؤولية منها تجاههم. أذكر تصميم مصور صحافي سوري من حلب على العودة من تركيا لداخل سورية حتى يلتقط صورًا لوكالة أنباء شهيرة عينت مصورًا شابًا بدلًا منه. بعض وكالات الأنباء والصحف العالمية لا ترسل أحدًا من صحافييها، وتؤمن عليه إلى تلك المناطق. البديل هو منح الضوء الأخضر لصحافي حر أو صحافي محلي أو مواطن صحافي كي يخوض المخاطرة. فإذا جاء بصورة أو قصة اشتروها حصريًا بثمن بخس، أما إذا أصيب فلا مسؤولية عليهم. الشيء نفسه تفعله بعض الصحف المحلية نفسها حين ترسل شباب الصحافيين الذين يعملون بالسخرة أو بالقطعة لديها دون عقود عمل أو تأمين على الحياة أو معدات أمان أو تدريب للسلامة إلى الخطوط الأمامية في المواجهات.

إفلات من العقاب

في الواقع إن إفلات قتلة الصحافيين والمعتدين عليهم من العقاب، هو ما يشجع على تكرار الاعتداءات. **اتفاقيات جنيف** وما تنص عليه من حماية المدنيين لم تعد كافية للصحافيين. «**بالنسبة لنا كصحافيين محليين مدنيين في مناطق القتال، فهذه الاتفاقية لا تعني لنا شيئًا**»، عبارة كثيرًا ما أسمعها خلال محاضراتي، خاصة عندما أتحدث حول عدم جواز حمل الصحافي لسلاح وضرورة أن يتجنب الصحافي أن يكون في حماية فصائل مسلحة، وذلك ضمانًا لتغطية مستقلة. يبدو كلامي غير واقعي، خاصة في النقطة الأخيرة. لقد سيطرت الفصائل المسلحة على مناطق واسعة في أماكن النزاعات، وأصبح التحرك دون حماية فصيل، شبه مستحيل في بعض الأحيان.

في أيلول/ سبتمبر الماضي دعتني **جامعة أوسلو** بالنرويج للمشاركة في مؤتمر حول الصحافيات في الحروب. اخترت الحديث عن الصحافيات المحليات اللاتي شاركن في تغطية ثورات وحروب «الربيع العربي» الذي لم يكن ربيعًا. **نور كلزي**، كانت مدرسة لغة إنجليزية عند بدء الانتفاضة الثورية. وقتها عملت مترجمة للمصورين الأجانب قبل أن تقرر رفع الكاميرا وتغطية الأحداث. نور فازت مؤخرًا بجائزة الشجاعة الدولية من **الاتحاد الدولي للإعلاميات**. دفعت **نور** أثمانًا باهظة تدفعها النساء في الحرب. واحدة من قصص **نور** كانت في طريق عودتها عندما رافقت أسرة سورية في رحلة دفن رضيع مات بسبب الحرب. أصيبت **نور** في انفجار على الطريق.

نعم هناك ضرورة لوجود صحافيين محليين لتغطية الحروب والنزاعات والانتفاضات، لكن واجبنا جميعًا حمايتهم. المسؤولية ليست أخلاقية فحسب، بل حتى يكتب التاريخ صحيحًا دون تزييف. تحية لهيئات ومنظمات ترصد الانتهاكات وتدعم الصحافيين بتدريبات سلامة مهنية ورقمية ونفسية. لكن بدون تغيير القوانين الدولية والمحلية وملاحقة المعتدين وإدانتهم لن يكون هناك تغيير. شخصيًا لن أتوقف عن الذهاب لجبهات القتال وتدريب الصحافيين على إجراءات السلامة ودعمهم بكل جهد أستطيعه. طوبى لزملائي وزميلاتي الصحافيين المحليين القابضين على الجمر. هم لم يختاروا الحروب أو الصراعات لكنهم ثبتوا فيما فضَّل غيرهم الفرار. هؤلاء هم جبهتنا الأخيرة لمحاولة فهم تاريخ يكتب حاليًا بينما يحاول آخرون تزييفه ■

أزمات شحنت العين والعاطفة: الحرب والصراع كما تعكسهما مرآة السينما السورية

كانت السينما السورية دومًا لصيقة بالواقع السياسي والاجتماعي. اكتسبت هذه السينما صفات خاصة؛ جديتها وقدرتها التعبيرية عن الواقع وعن رؤى مخرجيها وذواتهم وهمومهم وهواجسهم السياسية والفكرية. في السنوات الأخيرة، حاولت عدسة السينما السورية أن تلاحق طبول الحرب التي لا تزال تقرع.

فراس محمد*

منذ الثمانينيات، تبلور ما يشبه الموجة الجديدة في السينما السورية من خلال مجموعة من المخرجين الذين درسوا الإخراج السينمائي في الاتحاد السوفيتي. المخرج **محمد ملص** قدم الفيلم السوري الأكثر شهرة «أحلام المدينة» (**إنتاج 1982**)، من كتابة زميله المخرج سمير ذكري. تناول الفيلم حقبة هامة من تاريخ سورية دون أن يظهر بشكل الفيلم الذي يحاول أرشفة هذه الحقبة. أراد **ملص** خلق انسجام وتماهٍ بين الواقع الشخصي والذاتي المرتبط بالذاكرة والبيئة السياسية المتغيرة والعنيفة جراء الانقلابات العسكرية المتتالية التي أفضت في النهاية إلى الوحدة بين سوريا ومصر (1958–1961). حاول ملص وضع صورة بانورامية عن نوعية العلاقات الاجتماعية التي نشأت في ظل واقع شديد التغير، وأثر السياسة في الحياة المعاشة. قبله بعام كان للمخرج **سمير ذكري** تجربة لا تقل أهمية في فيلم «**حادثة النصف متر**»، الذي كتبه وأخرجه، وفيه استعرض واقع شخصية مهزومة من الداخل، عكس من خلالها شكل ومضمون العقلية الاجتماعية السائدة والارتباط الضمني الذي لا يمكن تجاهله بين الفرد وطبيعة مجتمعه، وبين الخيبة الخاصة وخيبة الأمل الثقيلة التي رسمت ملامح المجتمع.

شهد عقد الثمانينيات أفكارًا استفادت من تجارب السينما السورية الغنية في السبعينيات، لا سيما تجارب المخرج **نبيل المالح (1936 – 2016)**، **والمخرج العراقي قيس الزبيدي والمخرج المصري توفيق صالح (1926– 2013) في أفلام: الفهد (إنتاج 1972) واليازرلي (إنتاج 1974) والمخدوعون (1973)**. منحت هذه التجارب السينما السورية مناخًا خاصًّا وقدرة على معالجة الجروح النازفة، والرغبة في استغلال كل خصائص الفرد والمجتمع لطرحها بأسلوب فني. ظهرت هذه السمات وبحرفية عالية في فيلم **نجوم النهار (إنتاج 1988)** للمخرج **أسامة محمد، وفي فيلم اللجاة (إنتاج 1993) للمخرج رياض شيا**، وفي فيلم المخرج **عبد اللطيف عبد الحميد** الذي ظهر في العام 1989، **ليالي ابن آوى. أحدث** هذا الفيلم نقلة نوعية في السينما السورية، فقد أخذ الكاميرا إلى أماكن وبيئات كانت السينما السورية غريبة عنها. نقل بيئة الريف بمزج أخاذ ما بين الكوميديا والتراجيديا ليصنع طابعًا لا تنقصه الجرأة ولا تعوزه الرغبة في البحث عن السينما

* سينمائي سوري

الأزمة السورية التي بدأت في العام 2011، كانت على قسوتها بالنسبة للسينمائيين، مادة يمكن التعبير من خلالها

AFP

في أماكن تبدو للوهلة الأولى «لاسينمائية». تبع ذلك بفيلمه الأخاذ **رسائل شفهية (إنتاج 1991)**، **وفيه** كرس أسلوبيته الهامسة البريئة في الشكل، العميقة والحادة في المضمون. نال هذا الفيلم ما ناله سابقه من شعبية جارفة وإقبال مميز على الصعيدين النقدي والجماهيري. في التسعينيات حاول **عبد الحميد** صنع عوالم لا تقل براءة أو جرأة، لكن مع نبرة تجريبية كشفت قدرته على الاقتحام واللعب في المساحات المعتمة. بدا فيلم **صعود المطر** (إنتاج 1995) وكأنه الفيلم الأول له رغم أن ترتيبه الثالث في قائمة الأفلام التي أخرجها. في هذا الفيلم، ألقى **عبد الحميد** بكثير من الصور المستفزة النائمة في مخيلته بين الكوادر، وصنع مناخًا يملك من الغرابة ما يملك من الحساسية. كان مدخلًا ليرمي ما في جعبته من أفلام في التسعينيات؛ الفترة التي قدم فيها أغلب أفلامه.

سينما الأزمة القاسية

الأزمة السورية التي بدأت في العام 2011، كانت على قسوتها بالنسبة للسينمائيين، مادة يمكن التعبير من خلالها، مادة غنية قادرة على إنبات ليس فقط أسماء جديدة، بل وأساليب جديدة، لا سيما أن الحرب التي نشبت تركت ندوبًا على كل الجسد السوري. مزقت وخلقت خللًا لا يمكن تجاهله أو التغاضي عنه. أزاحت الستار عن كثير من المكنونات وسمحت للشوائب السياسية والفكرية والأخلاقية بأن تطفو وتتراكم. عبثت بالمفاهيم وخلقت تراجيديتها الخاصة. بعض المخرجين فضّل الغوص في هذا الحيز القاتم، وبعضهم فضل الصمت، ومنهم من بحث عن منابر أخرى.

باسل الخطيب، المخرج الذي هيمنت المسلسلات التليفزيونية على مسيرته، لجأ للسينما التي تخرج من معهدها ليقدم برؤية بصرية متماسكة عددًا من الأفلام التي كرست أسلوبيته الجمالية **كأفلام: مريم (2012)، والأم (2013)، وسوريون (2016)**. بينما طُرح اسما **جود سعيد** و**محمد عبد العزيز** كاسمين واعدين يملكان من الموهبة والحرفة ما جعلهما خلال فترة ما بعد اندلاع الصراع في سورية أبرز أقطاب السينما في هذا البلد المنكوب بالحرب. فكان تواجدهما استمرارية لا تقل أهمية عن الاستمرارية التي خلقها جيل الثمانينيات. **جود سعيد** طرح نفسه كمخرج قادر على خلق عالم تنتج فيه الكوميديا من قلب الألم، شخصياته تحب الحياة غصبًا عنها، تبحث عنها بين أكوام الجثث ودخان الحرائق، وبمشاركته **لعبد اللطيف عبد الحميد** الذي كان ممثلًا في أغلب أفلامه. في فيلمه **بانتظار الخريف**، وهو فيلمه الوحيد الذي جاء صريحًا عن تداعيات الأزمة السورية بعدما قدم فيلمين: **مرة أخرى (2009) وصديقي الأخير** (2013). ظهر في الفيلمين النوازع الشخصية المرتبطة أساسًا بالحدث السياسي. في فيلمه الأخير، كرس بصمته البصرية الخلاقة، وتعامل مع حالة شبه عائمة من الشخصيات.

كانت السينما ولا تزال حيزًا قادرًا على تقطيب الجروح أو فتحها، على إعادة صياغة المفاهيم وامتصاص الأزمات وتكثيفها

وقد نال **بانتظار الخريف** جائزة أفضل فيلم عربي في مهرجان القاهرة السينمائي (الدورة 37 في العام 2015). أما **محمد عبد العزيز** فقد كان يبحث في العوالم المتوازية لشخصياته، بتراكيب مونتاجية قادرة على ربط ما يبدو ظاهريًّا غير قابل للارتباط. عقلية جديدة ومنفتحة تتمتع بالليونة الشديدة والحس التجريبي العالي ليتحول معها كل فيلم من أفلامه لمختبر شعوري بصري فكري يدخل مشاهديه في دوامات تنتج عن بعضها البعض كما في فيلمه **الرابعة بتوقيت الفردوس (2015). الفيلم** مختبر آثر **عبد العزيز** تركيبه بعقلية تجديدية تحب التحدي، سبق لها أن تعاملت مع أفلام المكان الواحد وسينما الدوغما. **المهاجران، هو** الفيلم السوري الأول الذي وظف شروط هذا التيار السينمائي، وهو مقتبس عن مسرحية بالاسم نفسه. نال عبد العزيز جائزة أفضل فيلم في **مهرجان روتردام للفيلم العربي**.

كانت السينما ولا تزال حيزًا قادرًا على تقطيب الجروح أو فتحها، على إعادة صياغة المفاهيم وامتصاص الأزمات وتكثيفها. الأزمة السورية في الوقت الذي جاءت فيه مؤلمة، أتت على جميع التفاصيل الحياتية للإنسان السوري، إلا أنها استطاعت أن تشحن العين والعاطفة لديه ■

من فيلم «بانتظار الخريف» لـ جود سعيد

سيرك فلسطين

يرسم البهجة على وجوه المقدسيين

إنها الخامسة من مساء يوم من أيام الربيع في القدس، وعلى الرغم من شدة الرياح والانخفاض الكبير في درجات الحرارة في شرق المدينة، قصد أكثر من 250 شخصًا المسرح الوطني الفلسطيني لمشاهدة عرض «مش زابطة»، أحد العروض المسرحية الرئيسية التي أنتجتها مدرسة «سيرك فلسطين».

لمشاهدة فيديو عن هذا المقال، يمكن لأصحاب الهواتف الذكية استخدام تطبيق ماسح الباركود (Barcode Scanner)

يقع مقر مدرسة **سيرك فلسطين** في **بيرزيت**، وهي بلدة فلسطينية تقع شمال **رام الله** وسط الضفة الغربية. ونتيجة لتصاعد وتيرة العنف في المدينة في الأشهر الأخيرة، زادت صعوبة حصول الفلسطينيين على تصريح للعبور من **الضفة الغربية** إلى إسرائيل. إلا أنه بمساعدة **اللجنة الدولية للصليب الأحمر**، حصل طاقم من مدرسة السيرك يتألف من ثمانية أفراد، لاعبي أكروبات وفنيِّين، على تصريح لأداء عروض في المدينة لستة أشهر على الأقل.

على خشبة المسرح، يوجد ثلاثة كراسٍ وعامود. إضاءة هادئة تُبرز جدارية تصوِّر القرية الصغيرة المزدحمة بسكانها التي ينتمي إليها شخصيات العرض الثلاثة. خلف الكواليس، يستعد **أحمد أبو طالب**، و**محمد أبو طالب**، و**نور أبو الرَّب** للعرض، بينما يتوافد المشاهدون إلى المسرح. التحق **نور** - وهو من مدينة **جنين** الواقعة في شمال الضفة الغربية - بمدرسة السيرك قبل ثماني سنوات. ويمثل السيرك بالنسبة إليه وسيلة للتعبير عما يجيش به صدره من مشاعر.

يقول **نور**: «**بعض الناس يجدون في الرقص أو رواية القصص وسيلة للتعبير عن أنفسهم. أما أنا فأجد في السيرك وسيلة أستطيع من خلالها توعية الناس بالعديد من السلبيات في الضفة الغربية، مع إدخال البهجة إلى قلوبهم في الوقت ذاته ومساعدتهم على نسيان الصعاب اليومية التي يكابدونها**».

أما التوأمان **أبو طالب** فسبب التحاقهما بالمدرسة هو أنها كانت شيئًا جديدًا في فلسطين، ورأيا أنها وسيلة جيدة للتدرُّب. غير أنهما أدركا بعد فترة أن «**السيرك ليس فقط مكانًا لممارسة الألعاب البهلوانية وتقديم العروض، بل هو جزء من حياتنا لأننا نستطيع من خلاله إيصال رسائل مهمة للمجتمع، وهو أيضًا مكان يلعب فيه الأطفال ويدخل عليهم السرور والبهجة**».

الساعة 5:30 مساءً، يُرفع الستار إيذانًا ببدء عرض «**مش زابطة**» في **القدس الشرقية** للمرة الأولى.

«**مش زابطة**» هو عرض جديد لمدرسة سيرك فلسطين، يجمع بين العروض البهلوانية، والموسيقى، وألعاب الخفة، والفكاهة. يحكي العرض، في إطار كوميدي، قصة ثلاثة من الشباب الطموح الذين يسعون إلى تحقيق أحلامهم بمستقبل أفضل بعد حصولهم على درجاتهم الجامعية من الخارج. وبعد عودتهم، يبدأ هؤلاء الشباب رحلة البحث عن العمل والاستمتاع بوقتهم لكنهم يجدون أنفسهم أمام العديد من التحديات التي تقلب آمالهم وتوقعاتهم رأسًا على عقب. وبحسب **شادي زمرُّد**، المدير العام لمدرسة السيرك جاءت فكرة العرض عقب الحرب في **غزة** العام 2014، إذ أراد فريق من مدرسة السيرك تصوير العقبات التي تواجههم في حياتهم اليومية، والمشاعر التي تختلج في صدور الشباب في هذه الأيام، التي هي مزيج من الخوف، والحماس، والشعور باليأس، وذلك من خلال عمل يجمع بين الإبداع والمرح.

يقول **شادي**: «**يسعى عرض «مش زابطة» إلى تسليط الضوء على المشكلات الكثيرة التي يواجهها الشباب الفلسطيني بطريقة يجد فيها الجمهور متنفسًا يسهم في التخفيف عنهم بعد ما شهدوه من مآسٍ**». ويبدي الجمهور، ومعظمه من الشباب، تفاعلًا حماسيًّا مع الممثلين. فمشاهدة مشكلات كبيرة كهذه تُعرض في إطار فكاهي يجعلهم أقدر على تحمُّل واقعهم بطريقة أو بأخرى. فمن شأن الصدمات النفسية التي تسببها دوامة العنف، لا سيما في أوساط الأفراد الأكثر استضعافًا، كالأطفال والشباب، أن تؤثر على نموهم العاطفي، وقد ينتج عنها مضاعفات تؤثر على صحتهم النفسية.

تعمل اللجنة الدولية في **القدس** منذ أكثر من 50 عامًا، وقد نظمتْ هذا الحدث الفريد بالتعاون مع العائلات في القدس بهدف الحفاظ على تواصلها مع الأطفال والشباب. في مدينة **كالقدس**، يجد الأطفال أنفسهم مجبرين على أن ينضجوا مبكرًا جدًّا، ولا شك أن منحهم الفرصة للاسترخاء واللهو يتيح لهم الاستمتاع بطفولتهم مجددًا.

تقول **جنى عمرو**، البالغة من العمر 10 سنوات: «**أمضيت وقتًا حافلًا بالمرح واستمتعت كثيرًا بعرض النطاطة والعروض البهلوانية، واستمتعت كثيرًا بالمشهد الذي ذكرني بمشاجرتي مع أختي بسبب الكرسي، فالطريقة التي تشاجر بها الممثلون كانت** مضحكة للغاية».

من جانبه قال **رئيس مكتب اللجنة الدولية في القدس كريستيان كاردون**، بعد أن استمتع بالعرض بصحبة الأطفال: «**الإبداع، وتعلم مهارات الحياة، وتقدير الطفل لذاته، والعمل الجماعي، والثقة، والتنوع هي بعض الجوانب الإيجابية التي يروج لها السيرك**». وأضاف: «**لكن اليوم فهي «زابطة»، لأن أكثر من 600 طفل ضحكوا واستمتعوا بوقتهم**».

الساعة الآن 6:30 مساءً. بدأت الشمس تتوارى خلف أسوار المدينة القديمة، بينما يخرج جمهور الأطفال والشباب من المسرح الوطني الفلسطيني. لقد نجح عرض «**مش زابطة**» في أن يرسم الضحكة على وجوههم وأن يُسرِّي عنهم، على الأقل طوال الساعة الماضية ■

سيرانو ريدوندو *

* Jesus Serrano Redondo مندوب إعلام في بعثة اللجنة الدولية في القدس

ICRC

«السيرك ليس فقط مكانًا لممارسة الألعاب البهلوانية وتقديم العروض، بل هو جزء من حياتنا لأننا نستطيع من خلاله إيصال رسائل مهمة للمجتمع»

ICRC

رجال رحلوا

هؤلاء سبعة رجال من سورية وفلسطين ولبنان، اختبروا حياة اللجوء، انقلبت حياتهم رأسًا على عقب بسبب الحروب والنزاعات المسلّحة التي تدور رحاها في بلدانهم. وبالرغم من كم المعاناة التي تحملها هؤلاء الرجال، إلا أنهم ليسوا بضحايا لا يملكون من أمرهم شيئًا، هم – على بساطة أحلامهم وأمانيهم – أفراد يتمتّعون بالكرامة، ويتوقون إلى العودة لحياتهم العادية السابقة، تلك الحياة التي يستأنفون فيها أعمالهم، أو يتابعون فيها دراساتهم وهم مفعمون بالأمل.

رؤية فوتوغرافية لـ جو سعادة.

لمشاهدة فيديو عن هذا الموضوع، يمكن لأصحاب الهواتف الذكية استخدام تطبيق ماسح الباركود (Barcode Scanner)

«اسمي **علي محمد شتله**، وأنا من فلسطين، طبعًا نحن لم نكن في فلسطين، حلمنا العودة إلى فلسطين، نعيش هنا في لبنان، لاجئين فلسطينيين في لبنان.. أعمل نجارًا. لدىَّ ثلاثة أبناء: خالد وهو يعمل معي، وسارة، ومحمد... حاولت الهجرة من لبنان إلى تركيا ومنها لليونان ومنها إلى ألمانيا.. انكشفت محاولتي. [قابلت شخصًا] أعطانا أملًا بالعودة إلى فلسطين من خلاله. نرى فيه الأمل للعودة لفلسطين»

أصيب **أبو علاء** بعد أن قصف الطيران منزله المكون من ثلاثة طوابق في منطقة باب الهوى التابعة لمحافظة إدلب. تمكن من الهرب إلى لبنان، يقول: «تعذبت كثيرًا.. عالجت نفسي. أعيش مع الأزمة، وأتعافى من الاكتئاب».

علي حسن القاسم، فلسطيني من مواليد مخيم اليرموك، هاجر إلى لبنان نظرًا للظروف الصعبة التي أحاطت بالمخيم عقب اندلاع الأزمة السورية: «كنت بالمخيم وقت الأزمة والحصار، عندما بدأت المواد (الغذائية) تتقلص وارتفعت الأسعار». حاول شقيقه الرحيل إلى أوروبا عبر البحر «أخوي (أخي) الصغير غرق، حاول خفر السواحل التركية أن ينقذوه.. بعد ما راح، تغير طعم الحياة».

وليد، 12 عامًا، من درعا السورية، هرب إلى لبنان بعد أن اشتد قصف الطيران على المدينة. «لما جئنا إلى لبنان، قيل لأبي إن عليَّ أن أعمل حتى أساعده. أنا أعمل لأني لم أستطع الذهاب للمدرسة».

غياث قناعة، عازف موسيقى قسم إيقاع ومخرج سينمائي، من حلب، ظل محاصرًا في بيته أسبوعًا إلى أن تمكن من الفرار. تعرض للاعتقال إلى أن نجح في الوصول إلى بيروت. «أنا موجود في لبنان منذ ثلاث سنين. عشت في 21 بيتًا. أريد أن تنتهي هذه المعاناة».

محمد نابلسي، 37 عامًا، من طرابلس اللبنانية، سافر إلى أوكرانيا، وإيطاليا ثم الجزائر قبل أن يعود إلى لبنان: «هنا لا يوجد مستقبل ولا حياة. لو الولد مرض، عليك أن تأتي بطلب من نائب أو وزير أو تبيع عفش البيت لتعالجه».

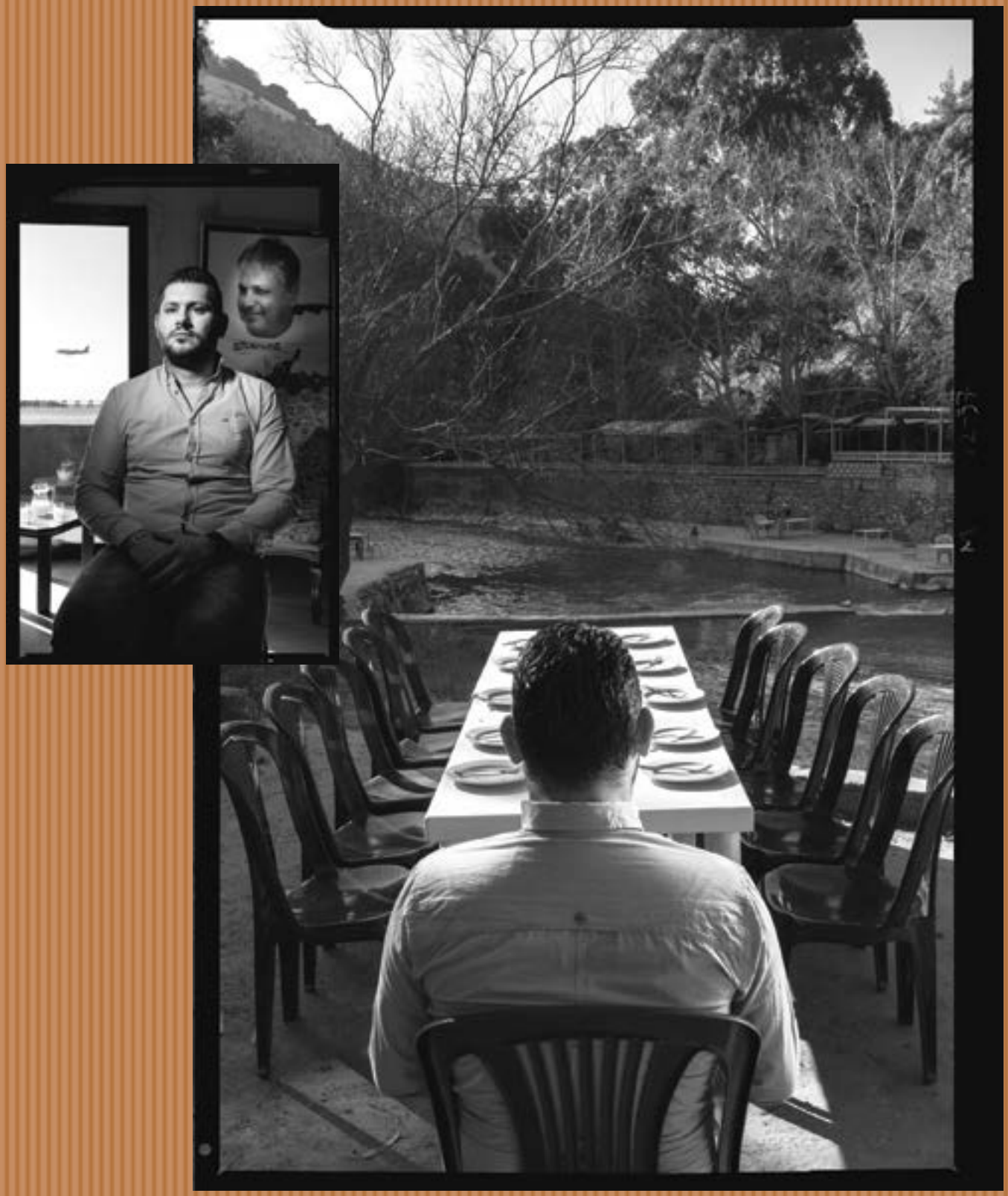

محمد صفوان، 29 عامًا، قررت أسرته الهجرة عن طريق البحر لكنهم غرقوا جميعًا، يقول: «سبحوا في المياه بسترة النجاة، لم يتحملوا برودة المياه والسباحة مسافة طويلة، ظل أخي يسبح من الثانية ظهرًا لليوم التالي حتى وصل إلى الشاطئ». كان صعبًا على أخيه أن يرى عائلته وهي تغرق، أن يرى أباه وأمه وزوجته وابنه. «كنا تسعة والآن أصبحنا خمسة».

جايسون سترازيوزو*

العنف الجنسي: وصمة عار في نزاع جنوب السودان

في زمن الحرب، كثيرًا ما تُرتكب جريمة العنف الجنسي ضد النساء، فتستخدمها الأطراف المتناحرة أحيانًا كوسيلة من وسائل القتال. وفي النزاع الدامي في جنوب السودان تعاني النساء من وطأة هذه الجريمة الوحشية.

ICRC

الحمل غير المرغوب فيه، التعرض لفيروس نقص المناعة المكتسب، الألم الجسدي، الأزمات النفسية، خطر العزلة الاجتماعية، انخفاض احتمالية الزواج، هي بعض من نتائج جرائم عنف جنسي لا تعد ولا تحصى جرت وقائعها بجنوب السودان خلال العام الماضي. وقد انزلق جنوب السودان إلى دوامة العنف في نهاية العام 2013، ومنذ ذلك الحين قُتل الآلاف، وأرغم أكثر من مليوني شخص على النزوح من ديارهم، كما وضع القتال مئات الآلاف من سكان جنوب السودان أمام خطر المجاعة.

ولجرائم الاغتصاب وأشكال العنف الجنسي الأخرى في جنوب السودان عواقب مفجعة وطويلة الأمد للأغلبية من الضحايا الإناث. فعندما تحدث هجمات الاغتصاب، يقطع الضحايا مسافات طويلة لإخفاء الاعتداء، إذ سارت إحدى ضحايا الاغتصاب التي ساعدتها **اللجنة الدولية للصليب الأحمر** ليومين من معسكر اللاجئين في **غامبيلا** بإثيوبيا إلى عيادة صحية في ولاية **أعالي النيل**. فقدت الضحية زوجها أثناء النزاع، وكان عليها قبل أن تخوض رحلة صعبة على الأقدام كهذه أن تجد شخصًا ما يعتني بأطفالها الأربعة. وشعرت بأن عليها فعل ذلك من دون إخبار أي أحد بأنها كانت قد تعرضت للاغتصاب بسبب وصمة العار التي ستعانيها.

وتقول **أورور بروسالت**، مسؤولة الصحة النفسية والمساعدة النفسية والاجتماعية في بعثة اللجنة الدولية في جنوب السودان: «**يدمر العنف الجنسي المجتمعات ويمزق الروابط الأسرية من خلال إثارة الإحساس بالعار الشديد لدى الضحية إضافة إلى العذاب النفسي المدمر**». وتتساءل **بروسالت**: «**كيف يمكن للأم والطفل أن يحافظا على العلاقة نفسها بينهما إذا كان الطفل قد أجبر على**

* Jason Straziuso الناطق الرسمي في بعثة اللجنة الدولية الإقليمية لشرق أفريقيا في نيروبي.

تحجم الكثيرات من ضحايا العنف الجنسي عن طلب المساعدة بسبب وصمة العار الاجتماعي

اللوحة للفنانة السودانية «كمالا ابراهيم»

«كيف يمكن للأم والطفل أن يحافظا على العلاقة نفسها بينهما إذا كان الطفل قد أجبر على أن يشهد اغتصاب أمه؟ إنه أمر لا يمكن تخيله»

أن يشهد اغتصاب أمه؟ إنه أمر لا يمكن تخيله». وحتى إن توفرت المساعدة القريبة - لأن مساحات شاسعة من جنوب السودان تخلو من منشآت طبية عاملة - إلا أن وصمة العار الاجتماعي قاسية جدًّا، لذا فإن الكثيرات من ضحايا العنف الجنسي يحجمن عن طلب المساعدة. ولا يعلم الكثير من النساء أن المساعدة الطبية يمكن أن تمنع الإصابة بالمرض والحمل غير المرغوب فيه. وتخشى الضحايا ألا يعالجن بسرية، وثمة سوء فهم عام لدى الضحايا والسلطات عما إذا كانت ضحايا العنف الجنسي بحاجة لأن يبلغن الشرطة أولًا قبل تلقي المساعدة الطبية.

تعد التوعية أمرًا مهمًّا لتجنب وصمة العار، لذا نظمت اللجنة الدولية في جنوب السودان السنة الماضية محاضرات عن بناء الوعي بالعنف الجنسي مع مئات الأفراد، من بينهم كوادر صحية وقابلات وقادة محليون وضباط شرطة وأعضاء من المجموعات المسلحة ومتطوعون من جمعية الصليب الأحمر في جنوب السودان. وتسعى اللجنة الدولية هذا العام للتصدي لوصمة العار التي تحول دون الحصول على العناية وستشدد على ضرورة طلب المساعدة في أسرع وقت ممكن. ويتناسب الدعم الذي تقدمه اللجنة الدولية واحتياجات الضحايا، فإذا أبلغت امرأة عن حادث اعتداء خلال ثلاثة أيام، سنتمكن من تقديم علاج طبي لها لمنع مرض نقص المناعة والحمل والأمراض المنقولة جنسيًّا. أما إذا مضت الثلاثة أيام فيمكننا فقط علاج الأمراض المنقولة جنسيًّا. وبالنسبة للمساعدة النفسية فهي متوفرة في أي مرحلة.

إن حظر الاغتصاب هو إحدى أقدم قواعد الحرب وأهمها، إذ حظرته **اتفاقيات جنيف** بوضوح في النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية على حدٍّ سواء. وتعمل اللجنة الدولية في جنوب السودان مع المجموعات المسلحة في أنحاء البلاد على تذكيرها بالتزاماتها بتجنيب السكان المدنيين الأذى. ويجب ألا يكون العنف الجنسي أسلوبًا يمارس في النزاع. ونسعى نحن لمحو هذا العار الذي يصم الضحايا ويمنع العديد من النساء والفتيات والرجال والأطفال من تلقي المساعدة الطبية والنفسية التي يعد التعافي منها صعبًا للغاية ■

وما زالت معركة الحقوق مستمرة
تشريع لحماية نساء

سلمى حراز*

أقر البرلمان الجزائري منذ العام 2014 جملة من التشريعات التي تستهدف توفير الحماية للنساء سواء داخل الأسرة أو في المجال العام ككل، فصدرت قوانين تجرم العنف الجنسي وتجرم كذلك العنف المنزلي. هذه الإصلاحات القانونية توجت سنوات من نضال النساء في الجزائر لنيل حقوقهن.

رسم للفنانة الجزائرية «باية محيي الدين»، (1931–1998)

استقبلت نساء الجزائر اليوم العالمي للمرأة هذا العام (يوافق 8 آذار/ مارس) بشعور من الزهو بعد إقرار مجلس الأمة (الغرفة الثانية للبرلمان) جملة تعديلات قانونية تستهدف توفير الحماية للمرأة الجزائرية، فصدر أوَّل تشريع في تاريخ البلاد يجرِّم التحرُّش بالنساء، كما أُقرت تعديلات تجرم العنف المنزلي، وتجرم كذلك مختلف أشكال العنف ضد النساء في المجال العام. هذا الذي يراه البعض إنجازًا، لا تعتبره نساء الجزائر والمدافعات عن حقوق المرأة إلا باكورة نتائج مسيرة نضال طويلة. فهذه الإصلاحات القانونية لم تكن لترى النور لولا نضال عشرات الناشطات الحقوقيات المدافعات عن حقوق المرأة كالناشطة **سمية صالحي والناشطة نادية آيت زاي والناشطة مريم يعلى** وغيرهن من الناشطات اللاتي يخضن منذ أكثر من عقدين معارك يومية ضد كل أشكال العنف ضد المرأة، المرأة التي كانت ولا تزال الحلقة الأضعف في كل المجتمعات، والمجتمعات العربية تحديدًا.

بداية النضال

تقول حقوقيات وناشطات نسويات إن قانون مكافحة العنف ضد المرأة هو ثمرة نضال يعود إلى بداية التسعينيات، الفترة التي عانت فيها الجزائريات الأمرين. فالآلاف منهن انتهكت أجسادهن وأرواحهن في الأزمة الأمنية التي ضربت البلاد لأكثر من عشر سنوات في تسعينيات القرن الماضي، فعانين الاختطاف والاغتصاب ومختلف أشكال العنف. هذا الوضع البائس حرك بعض الحقوقيات لمطالبة السلطات بتأمين حماية النساء ضحايا العنف الجنسي، واللواتي كانت عائلاتهن ترفض عودتهن بعد أن «ينتهك شرفهن» على أيدي الإرهابيين، على حد تعبير **نادية آيت زاي**، المحامية والحقوقية ورئيسة مركز الإعلام والتوثيق لحقوق الطفل والمرأة «**سيداف**». وتضيف أن السلطات رفضت هذه المطالبات: «**كنا نخوض معارك يومية للحديث عن هاته المغتصبات، غير أن السلطات كانت ترفض تمامًا الخوض في هذا الملف الشائك**». وحسب الحقوقية الجزائرية: «**الأمر لم يكن سهلًا في البداية من أجل إقرار قانون يجرم العنف ضد المرأة ويحميها من كل أشكال الاعتداءات النفسية والجسدية**».

هذا الرأي هو نفس ما ذهبت إليه الناشطة **مريم يعلى**، رئيسة جمعية «**نساء في شدة**»، التي ترى في التعديلات القانونية الأخيرة ثمرة مسار طويل من نضال المجتمع المدني منذ سنوات الإرهاب. تقول **يعلى**: «**معركتنا في عز الأزمة الأمنية لم تكن فقط ضد الإرهاب والممارسات التي كانت المرأة ضحيتها من طرف الجماعات المتطرفة كالاختطاف والاغتصاب، بل كانت أيضًا ضد العنف الممارس ضد المرأة في بيتها من طرف زوجها وشقيقها ووالدها وحتى من رب عملها، وهذا ما كان يعتبره البعض ضربًا من الجنون، بحجة أن الوضع الأمني لا يسمح بالحديث عن مشاكل بسيطة تحدث بين جدران المنازل وتكون المرأة ضحيتها**».

REUTERS

* صحافية جزائرية

ناقوس خطر

عانت الجمعيات النسوية في الجزائر من التضييق ومحاولات كتم الحديث عن العنف الممارس ضد المرأة، حتى العام 2006 تحديدًا، عندما قررت **وزارة الصحة** إعداد دراسة بالشراكة مع الجمعيات النسوية لبحث قضية العنف المنزلي ضد النساء. تقول **آيت زاي: «رُفض طلبنا للخوض في ملف الاغتصاب، لكن اعتبرنا أن فتح باب الحديث عن شكل من أشكال العنف الممارس ضد المرأة بادرة جيدة»**. خلصت هذه الدراسة إلى أن 75 بالمائة من النساء تعرضن إلى عنف من قبل أزواجهن، كما أوضحت إحصائيات لـ **وزارة العدل**، في العام نفسه، أن المحاكم استقبلت 10 آلاف حادثة تتعلق بقضايا العنف الزوجي. وذكرت إحصائيات حكومية أخرى، من قبل وزارة **التضامن الوطني والأسرة وقضايا المرأة، أن** امرأة من كل 10 نساء تعرضت لعنف أسري. كانت هذه الأرقام بمثابة ناقوس الخطر للبدء في مناقشة وضع المرأة المعنفة، ليتم وضع **استراتيجية حماية المرأة من العنف** في العام 2008، وعنها تمخضت مطالب وضع قانون لحماية المرأة من جميع أشكال العنف.

وفي العام 2012، بدأت المناقشات الفعلية لوضع قانون يحمي المرأة من كل أشكال العنف والتحرش. لم تصل مسودة القانون إلى البرلمان إلا في العام 2015، في الوقت الذي سُجلت فيه قرابة سبعة آلاف حادثة عنف ضد المرأة (6984 حالة عنف) في المدن الجزائرية فقط خلال التسعة أشهر الأولى من العام 2014. وفي الفترة ذاتها، بلغت قضايا العنف الأسري أكثر من أربعة آلاف حادثة عنف. ويقول مراقبون إن هذه الأرقام لا تمثل حقيقة الأمور نظرًا لأن كثيرًا من النساء يحجمن عن الإبلاغ عن العنف الممارس ضدهن خشية التعرض لضغوط مجتمعية.

عقبات وحملة رفض

التسريبات التي وصلت إلى الرأي العام عن مواد قانون يجرم أشكال العنف المنزلي، وكذلك جرائم العنف الجنسي ومنها التحرش، أحدثت جدلًا واسعًا وحملة رفض واسعة. نص مشروع القانون على عقوبات بسجن الرجل الذي يمارس العنف الجسدي والمعنوي ضد زوجته. اعتبرت قطاعات من الرأي العام أن القانون يظلم الرجل. ورأى البعض أن مواد القانون تتيح للمرأة هدم بيتها، وأن تزج بشريك حياتها في السجن. كما رفضت بعض أحزاب المعارضة مواد القانون بحجة أنها تتنافى مع ثقافة ومبادئ المجتمع الجزائري، هذا علاوة على أن مواد القانون تعد تدخلًا في شؤون الأسرة.

بعد أخذ ورد وجدل كبير، صادق أعضاء مجلس الأمة في الجزائر بتاريخ العاشر من شهر كانون الأول/ ديسمبر الماضي على مشروع القانون المعدل والمتمم لقانون العقوبات المتضمن إجراءات جديدة لمكافحة كل أشكال العنف ضد المرأة، ومنها التحرش. استحدث القانون تدابير لحماية الزوجة من العنف المنزلي، فأقر بعقوبات للزوج في حال تعرض الزوجة لاعتداءات تسبِّب لها جروحًا أو بتر أعضائها أو الوفاة. وقد تصل العقوبة إلى السجن 20 عامًا حسب درجة خطورة الإصابة، أو السجن المؤبد في حالة الوفاة. كما جرم القانون أشكال الاعتداء اللفظي أو النفسي أو المعاملة المهينة للزوجة. وفي سياق آخر، جرم القانون، مختلف أشكال العنف الممارس ضد المرأة في الأماكن العمومية، منها جرائم التحرش الجنسي، وحدد عقوبات السجن من شهرين إلى ستة أشهر أو الغرامة المادية لكل «من يضايق امرأة في مكان عمومي بفعل أو قول أو إشارة تخدش حياءها».

لكن وبعد أن دخل القانون حيز التنفيذ، ومع اعتراف الجمعيات النسوية بأهمية القانون الذي حصلن عليه بنضالهن، إلا أنهن اعتبرن أن المعركة لا تزال طويلة أمام النقائص التي تضمنها القانون، وأهمها إدراج مادة الصفح التي تُوقف أي متابعة قضائية ضد مرتكب العنف ضد المرأة. ونص القانون على إمكانية إيقاف التقاضي في حال ما إذا صفحت الزوجة عن زوجها. تقول الناشطة الحقوقية **مريم يعلى: «الطريق لا يزال طويلًا. نحن متأكدون أن المرأة ستعفو وتصفح لأنه لا بديل أمامها، فكيف تتابع زوجها قضائيًا وهي معه في البيت نفسه، حيث لا مكان تذهب إليه، خاصة إذا لم تكن عاملة؟»** ■

استحدث القانون تدابير لحماية الزوجة من العنف سواء في المنزل أو المجال العام

الجزائر من العنف والتحرش

نحن النساء الفلسطينيات في ميدان العمل الإنساني

لطالما كانت المرأة الفلسطينية في مقدمة الصفوف، تحاول الحفاظ على الأسرة، وتجاهد للحفاظ على التضامن والسلم الأهلي أثناء الظروف العصيبة. وفي ميدان العمل الإنساني، هناك دور مشهود للنساء الفلسطينيات. هنا تستعرض أربع نساء فلسطينيات، بأصواتهن معنى أن تكوني امرأة عاملة في فلسطين

عندما يأتيك النداء وأنت تعمل في المجال الإنساني، لا تستطيع إلا أن تلبيه. عند تواجدك في الميدان ينصب تفكيرك على ما يمكن فعله لمن يطلب المساعدة. أن تعمل في المجال الإنساني، معناه أنك قد تمشي أيامًا تنسى فيها ذاتك، وأن يكون تفكيرك منصبًّا كلية على الآخرين. أن تكوني امرأة عاملة في فلسطين، وخاصة في المجال الإنساني أو المجتمعي، يعني أن تتحلي بالصبر حتى في أشد الأوقات، وأن تمضي قدمًا بخطى واثقة نحو المستقبل وأن تكوني رمانة الميزان للمحافظة على التوازن ما بين حياتك العائلية والمهنية. فيما يلي نبذة عن العمل الإنساني لنساء فلسطينيات من **القدس** و**غزة**.

أمينة عبد الحق (30 عامًا)

محامية من سكان **القدس**، أعمل مديرة لبرنامج حقوقي في **مؤسسة الرؤيا الفلسطينية**، كما أنني متطوعة في جمعية **مركز البستان**. أتطرق في عملي لمواضيع لها علاقة بالقانون الدولي والقانون الدولي الإنساني. من وجهة نظري فإن العمل على مستوى السياسات والقوانين دون الانخراط الفعلي في العمل المجتمعي الميداني لا يعطي الأثر المنشود لعدم ثقة الناس، خاصة الفئات المهمشة من النساء والأطفال، بالقوانين والسياسات المفروضة. تعاني النساء في **القدس**، كما غيرها من المدن، من مشاكل عديدة منها الاضطهاد وسيادة المجتمع الذكوري، فأبسط الحقوق كالرواتب وساعات العمل دليل واضح على هذا الاضطهاد الموجه ضد المرأة. في بعض الأحيان، ومع عجز الحكومة في تلبية احتياجات المجتمع، تُجبر النساء على القبول بشروط عمل غير ملائمة. وهنا يأتي دور المؤسسات المجتمعية لتعريف النساء والفئات المهمشة بحقوقهم وكيفية تجنب أشكال الاضطهاد الممكنة والحد منها.

من أهم التحديات التي نواجهها كنساء هي النظرة الذكورية للمجتمع التي تقلل وتنتقص من قدرات النساء. هذا علاوة على العادات والتقاليد التي تحد من حركة المرأة وتنقلاتها وتواجدها في الفضاء العام. كذلك، هناك الأوضاع الأمنية والاجتماعية والاقتصادية السيئة والتي تحد من قدرات المرأة.

طموحي، خلال السنوات العشر المقبلة، أن أبقى في بلدي وأن أداوم على العمل المجتمعي والتطوعي مع النساء والأطفال لما له **من** تأثير إيجابي على نفسيتي وإعطاء الشعور بالرضا الذاتي. كما أطمح في العمل على تعديل القوانين المتعلقة بالنساء (كقانون العمل وقانون الأحوال الشخصية) من أجل منح النساء حرية أكبر ومكانة أفضل في المجتمع.

نائلة عمران جويلس (38 عامًا)

من سكان **القدس**، وحاصلة على شهادتي بكالوريوس وماجستير في علوم الحاسوب من جامعة القدس، وشهادة ماجستير في إدارة الأعمال من جامعة **نورثويسترن** الأميركية. لديَّ خبرة واسعة في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية المتعلقة بالقطاع الخاص والشباب والتعليم والقطاع المهني في **القدس**. إضافة لعملي ناشطة في مجال حقوق الإنسان، أعمل حاليًّا مديرة عامة لمؤسسة **الملتقى الفكري العربي** في **القدس**. تواجه المرأة أو الفتاة الفلسطينية العاملة الكثير من التحديات من خلال عملها. فالوضع الأمني والاقتصادي يلقي بظلاله على مجالات الحياة كافة، من تضييق الخناق والحد من الحركة وارتفاع تكاليف

المعيشة. ومع ذلك، فوجودي في القدس أمر غاية في الأهمية بالنسبة لي، فهو يعني الصمود والثبات والعمل من أجل فئة مستهدفة ومهمشة على الصعيد المحلي والدولي.

تفتقر **القدس** إلى الحياة الثقافية بشكل عام. يضرب السكون المدينة بالليل، حيث تغلق المحلات أبوابها عند الساعة السادسة مساءً. وفي ظل الوضع الراهن أصبحت تفتقر إلى الأمان، إضافة إلى الحواجز التي تفصل الأحياء عن بعضها، وساعات الانتظار الطويلة من أجل الوصول إلى قلب المدينة. هنالك بعض المؤسسات الثقافية والفكرية الفاعلة التي تعمل بشكل حثيث لتقديم برامج ثقافية متنوعة، تحاول جذب المقدسيين للمشاركة فيها، ولكن الظروف التي ذكرتها سابقًا تحد من المشاركة في العديد من النشاطات.

أتمنى، خلال السنوات العشر المقبلة، أن يكون لي مشاركة فاعلة في وضع السياسات والآليات المتعلقة في عمل المرأة ومشاركتها في الميادين كافة. وأتمنى أن تكون هنالك مشاركة أوسع للمرأة في العمل وصنع القرار

نهيل بزبزت (28 عامًا)

من سكان **القدس**، متزوجة وأم لطفل اسمه **أحمد**. أعمل منسقة لبرامج المرأة والشباب في **جمعية الشابات المسيحية في القدس الشرقية**. كما أنني متطوعة في اتحاد **لجان المرأة الفلسطينية**. أعمل في مجال المرأة والشباب، لأنني أشعر بأن النساء بشكل عام ونساء **القدس** وشبابها بشكل خاص بحاجة إلى الدعم المستمر لمواجهة التحديات الحالية والمستقبلية، خاصة إثراء معرفتهم بحقوقهم، والمطالبة بها، مما سيكون له الأثر الكبير بمساعدتهم في الاندماج في المجتمع بشكل أفضل.

يعتبر عدم الاستقرار الأمني والاقتصادي هو التحدي الأكبر الذي يواجهه أهالي مدينة **القدس**، الذي بدوره يؤثر على المرأة ودورها في المجتمع. إنهاك المجتمع بالضرائب المفروضة على المقدسيين والحياة المعيشية المرتفعة الثمن بالمقارنة مع الدخل للأفراد، من أكبر التحديات التي نواجهها وتؤثر على حياتنا بشكل يومي.

من أهم المعوقات التي تعاني منها النساء في القدس هو غياب الاستقرار الأمني مما يحد من النشاطات والفعاليات التي يمكن أن تُنظم في المدينة سواء على الصعيد العملي أو الشخصي. بالإضافة إلى تركيبة المجتمع المقدسي الذكورية، التي تحد من إمكانيات المرأة ونشاطاتها. ولذلك فعلى المرأة السعي الدائم لخلق المساحة المناسبة لها التي تمكنها من أداء دورها كامرأة فعالة في المجتمع مع الحفاظ على العادات والتقاليد. طموحي، خلال السنوات العشر المقبلة، أن أكون في منصب يعطيني المجال لدعم ومساندة الشباب والنساء بشكل أفضل.

سناء رجب (37 عامًا)

من **غزة**، متزوجة وأم لطفلين. درست التمريض في الجامعة والتحقت بالعمل مع **اللجنة الدولية للصليب الأحمر** كمسؤولة ميدانية في قسم الصحة العام 2011، ولا زلت أعمل في هذه الدائرة حتى اليوم. أن أكون امرأة في **غزة** يعني لي التميز والتحدي والقوة والمثابرة والنجاح. يعني أن أستطيع تحقيق كل هذا. وضع **غزة** استثنائي على الجميع، ولكي تصل لهدفك عليك أن تتجاوز العديد من الصعاب والتحديات اليومية. في **غزة**، أنت دائمًا في حالة قلق وخوف من القادم المجهول، خاصة لامرأة عاملة وأم لأطفال. أود من ناحية أن أنجز وأقدم المساعدة للناس في أوقات الطوارئ. ومن ناحية أخرى أفكر في عائلتي التي أتركها خلفي في المنزل دون أن أدري هل سأعود إليهم سالمة أو أن أجدهم سالمين منتظرين عودتي. أفخر بعملي مع مؤسسة إنسانية كاللجنة الدولية للصليب الأحمر لما له من أثر طيب في مساعدة الناس. أنا كفرد وحيد في المجتمع لا أستطيع المساعدة بالمستوى والفعالية نفسها التي تقدمها مؤسسة كبيرة كاللجنة الدولية. في إطار عملي في اللجنة الدولية، ألمس التأثير على الأرض لأننا كمجموعة نسير في اتجاه واحد ولتحقيق الهدف ذاته وهذا يحفز بشكل كبير في إنجاز العمل وتقديم الخدمة لمن في حاجة لها. طموحي، خلال السنوات العشر المقبلة، أن أرى نفسي في قمة نجاحي في مهنتي وأمًا مثالية لأولادي. أود أن أكون قد أتممت دراساتي العليا في مجال الصحة كي أتمكن من تقديم المساعدة بشكل أكبر ■

إعداد: فريق الإعلام في بعثة اللجنة الدولية بالأراضي الفلسطينية المحتلة

REUTERS

أحمد عبد الفتاح*

رجل الإسعاف سعيد عساكر...

25 عامًا في مهمة لإنقاذ أرواح الناس

يعمل عبد الفتاح سعيد عساكر، مسعفًا في هيئة الإسعاف المصرية منذ العام 1992. وخلال فترة عمله الطويلة هذه، شارك في إنقاذ أرواح أعداد لا تحصى من المصابين. هنا حوار قصير معه حول الضغوط التي يتعرض لها في عمله، ودور تدريبات الدعم النفسي الاجتماعي في التخفيف من حدة هذه الضغوط.

■ **حدثنا في البداية عن ظروف التحاقك بهذا العمل؟**

التحقت بالعمل كمسعف فني بـ **هيئة إسعاف الجيزة** العام 1992. ومنذ ذلك الحين وأنا أعمل في هيئة الإسعاف في نطاق محافظة **الجيزة**. ومع استبدال **هيئة الإسعاف المصرية بهيئة إسعاف الجيزة**، انتقلت للعمل بها. قضيت أكثر من 25 عامًا في هذه المهنة، شاركت في مساعدة ضحايا العديد من الكوارث والاضطرابات السياسية في مصر. لكن تظل حوادث الطرق، خاصة حوادث شاحنات النقل، هي الحوادث الأكثر إيلامًا في حياتي.

■ **ما هي أهم الأحداث التي شكلت تحديًا كبيرًا لهيئة الإسعاف؟**

تُعد فترة الثورة المصرية التي اندلعت في 25 كانون الثاني/ يناير 2011 من أقسى الفترات التي شهدتها في عملي. فقد اضطررت بسبب سخونة الأوضاع في **ميدان التحرير** [بوسط **القاهرة**] إلى التمركز مع زملائي في أحد الفنادق القريبة من الميدان لأكثر

عساكر يترجل من سيارة الإسعاف

لمشاهدة فيديو عن هذا المقال، يمكن لأصحاب الهواتف الذكية استخدام تطبيق ماسح الباركود (Barcode Scanner)

* منتج وسائط متعددة في «المركز الإقليمي للإعلام» ببعثة اللجنة الدولية في القاهرة.

من أسبوعين متواصلين. حينها كان القلق يتملكني على أبنائي الذين تركتهم في المنزل، خصوصًا في ظل حالة الانفلات الأمني التي شهدتها البلاد وقتها. لكننا كنا نقول لأنفسنا، من يمكثون في البيوت في أمان نسبي، خلافًا للموجودين أو المتظاهرين في الميادين الذين هم أحق حاليًا برعايتنا ومساعدتنا.

■ كيف ترى الهدف من وظيفتك هذه؟

هدفنا الأساسي هو إنقاذ حياة الناس، والمحافظة على أرواحهم. اعتدنا على ظروف عملنا الصعبة هذه. طبعًا نحن كبشر نتأثر بما نرى [من حوادث وإصابات] ولكننا نحاول جاهدين أن نتخطى تلك الحالة حتى نستطيع أن نكمل عملنا ونساعد المصابين الذين هم في حاجة ماسة إلينا. في بعض الأحيان، وخاصة بعد مشاركتي في مساعدة ضحايا إحدى الكوارث الكبرى أو حادثة طريق بشعة، أسأل نفسي: لماذا أعمل في هذه المهنة؟ فحياتنا تختلف عن غيرنا. نحن دائمًا ما نستيقظ من نومنا على أصوات رنين الهواتف أو أجهزة اللاسلكي التي تطالبنا بالتحرك فورًا. وحتى في يوم راحتي، لا أستطيع أن أبتعد عن هاتفي، فربما يأتي نداء الواجب في أي وقت. أفكر في حالتي هذه لبعض الوقت، لكن هذا التفكير لا يستمر معي طويلًا، فأنا مؤمن بأن اللّه هو من اختارنا لهذا العمل، وأنه زرع في نفوسنا حب هذه المهنة، ورزقنا القوة كي نحتمل ما نلاقيه كل يوم من مصاعب في عملنا.

■ منذ متى بدأت في الاهتمام بتدريبات الدعم النفسي الاجتماعي؟

الزملاء في العمل هم أهم عون لنا للتغلب على حالات الضيق والألم النفسي. ولعل هذا هو ما دفعني للاهتمام بتدريب الدعم النفسي الاجتماعي الذي وفرته لي إدارة **هيئة الإسعاف** بالاشتراك مع **اللجنة الدولية للصليب الأحمر**. في البداية لم أكن أعرف شيئًا عن الدعم النفسي الاجتماعي، ولكن مع الوقت وبعد الجلوس مع مندوبي **اللجنة الدولية** ومسؤولي وحدة الدعم النفسي **بهيئة الإسعاف المصرية**، بدأنا في التعرف على أهمية الدعم النفسي، ودعم الأقران في العمل. كان الأمر بالنسبة لي مفرحًا للغاية، فطول الوقت كنت أنا وزملائي نشتكي بأنه لا يشعر بنا ولا بمعاناتنا أحد. هذه كانت من المرات القليلة التي شعرنا أن هناك من يقدم يد العون لنا. مسؤولو الدعم النفسي الاجتماعي يشعرون بمعاناتنا، وكذلك يقدمون حلولًا عملية لمواجهة وتخفيف الضغوط. وعليه، انخرطت في دورة تدريب مدربين في مجال الدعم النفسي الاجتماعي ودعم الأقران وهو ما انعكس إيجابيًا على طريقة تعاملي مع زملائي في العمل، ومع المصابين الذين أتعامل معهم يوميًا أثناء عملي، وكذلك على طريقة تعاملي مع أهل بيتي. هدفنا الحالي، لكل من شارك في تدريبات الدعم النفسي، أن ننقل ما تعلمناه إلى 15 – 20 متدربًا جديدًا في منطقة القاهرة الكبرى خلال العام 2016 ■

بروتوكول

وقعت بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في القاهرة بروتوكول تعاون مع هيئة الإسعاف المصرية لتطوير وتنظيم وحدة الدعم النفسي الاجتماعي لدى الهيئة. تهدف هذه الوحدة إلى وضع برنامج ومنهج تعليمي وتدريبي مستمر وموحد على جميع المستويات يشمل المدربين ومقدمي الرعاية الصحية الطارئة والسائقين وموظفي غرف الطوارئ في القاهرة الكبرى. يستهدف البرنامج التخفيف من وطأة الضغوط النفسية والبدنية الواقعة على المسعفين، وطرق التكيف الصحيحة لضمان الارتقاء بالأداء في ميدان العمل الإسعافي الشاق والمرهق بدنيًا ونفسيًا. دخل هذا البروتوكول حيز التنفيذ منذ أواخر العام 2015. وقد جرى بالفعل تدريب عدد كبير من موظفي هيئة الإسعاف المصرية وكوادرها على دعم الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي لتعزيز سلامتهم النفسية وقدرتهم على تقديم الرعاية الطبية الطارئة.

ريتا نياغا*

عبد الرحمن عبدي من الصومال يتحدث عن عمله:

«يوم في حياة اللجنة الدولية للصليب الأحمر» هي سلسلة حوارات مع العاملين في بعثات اللجنة الدولية حول العالم. نتعرف فيها عن قرب على ظروف العمل الإنساني في مختلف بقاع الأرض، والتحديات التي يواجهها العاملون في اللجنة.

نلتقي في هذا الحوار مع **عبد الرحمن عبدي**، أو «**حاير**» كما يسميه زملاؤه في بعثة اللجنة الدولية في الصومال. يشغل حاير، المدرس السابق في مدرسة ثانوية، وظيفة مسؤول ميداني في اللجنة الدولية التي يعمل فيها منذ 12 سنة، وهو مسؤول عن مكتب اللجنة الدولية في مدينة **حدر** عاصمة إقليم **باكول** بالصومال.

■ حدثنا عن نفسك قليلًا؟

اسمي عبد الرحمن عبدي، أبلغ من العمر 51 عامًا، ترعرعت في مدينة **واجد** بإقليم جنوب غرب الصومال. ولديَّ أسرة من زوجة وأربعة أولاد وأربع بنات. بدأت العمل في اللجنة الدولية في العام 2004، وتشرفت بأن أكون أول مسؤول ميداني في منطقة **بيدوا** بإقليم **باي** المجاور لإقليم **باكول** الذي أقيم فيه حاليًا. تتضمن مهامي بصفتي مسؤولًا ميدانيًا الإشراف على العمليات في إقليم **باكول**، إضافة إلى ضمان أن السلطات المعنية تثق في عمليات اللجنة الدولية وتحترم منهجها في تقديم المساعدة الإنسانية، وتدرك معنى العمل الإنساني المحايد والمستقل وغير المتحيِّز.

■ ما الذي دفعك للعمل في المجال الإنساني؟

كانت تعتريني الرغبة دائمًا في تقديم المساعدة للغير حتى جاء العام 1978 الذي تفشى فيه مرض الجدري في الصومال. وقتها كنت أعمل في إحدى المنظمات المعنية بالصحة، وتوليت قيادة فريق ضمن حملة للقضاء على المرض في إقليم **باكول**. بدأت العمل في هذه المنظمة طوعيًا ومن ثم ارتقيت في المناصب بمرور الوقت. شهدت سقوط حكومة [الرئيس الأسبق] **سياد بري** في الصومال العام 1991، وفترات النزاع المختلفة التي شهدها الصومال فيما بعد. رغبت في تقديم المساعدة في ظل المعاناة المستمرة، إذ أرى أن علينا محاولة مساعدة الفئات المحرومة دائمًا.

■ متى بدأت اللجنة الدولية في العمل بالصومال؟

اضطلعت اللجنة الدولية بأنشطتها لأول مرة في الصومال في العام 1977 خلال الحرب الصومالية الإثيوبية. أشعر شخصيًا بأن عملنا في الصومال كان له أثر إيجابي في حياة مجتمعات تعيش في مناطق يصعب الوصول إليها في إقليمي **باي** و**باكول**. خلال العام 1992، وفي ذروة الحرب الأهلية، دشنت اللجنة الدولية إحدى أكبر عملياتها في **بيدوا**، التي كانت تشهد وفاة 300 شخص يوميًا لذا أُطلق عليها «مدينة الموت». يقول لي سكان من المدينة إن دعم اللجنة الدولية لهم خلال تلك الأوقات الصعبة راسخ في الأذهان إلى اليوم ويساهم في السمعة الإيجابية التي اكتسبها الصليب الأحمر في الإقليم.

■ كيف هي الحياة في باكول، ومنذ متى وأنت تعمل فيها؟

تتمتع **باكول** بمناخ ملائم مقارنة ببقية أجزاء الصومال، ما يدفع غالبية سكانها إلى العمل بالزراعة والرعي. أعمل في هذا الإقليم منذ السبعينيات، إذ كنت أدرس مادتي التاريخ والجغرافية في مدرسة ثانوية في **حدر**. **كما** عملت في أقاليم **باي** و**جيدو** المجاورة **لباكول**.

■ ما هو أكثر شيء تستمتع به في عملك؟

يغمرني شعور عظيم عندما نساعد الغير وتسير الأمور كما نخطط لها.

■ ما هي أكثر تجربة خالدة في ذهنك خلال عملك في اللجنة الدولية؟

في العام 2012، كنت في مقاطعة **عيل بردي** إحدى مناطق إقليم **باكول** أوزع المواد الغذائية للمتضررين من كارثة الجفاف التي ضربت البلاد كلها، وأدت إلى إزهاق أرواح كثيرة وتدمير سبل العيش. قبل أن نبدأ بتوزيع المواد الغذائية، إذ بإحدى المجموعات المسلحة غير الحكومية تدخل القرية وتقتل 18 شخصًا بينهم أربعة مسؤولين محليين. كنَّا في جزء آخر من القرية، فلم نصب بأذى، وما إن شرعت أولى شاحنات المواد الغذائية بالوصول حتى بدأ السكان يركضون في جميع الاتجاهات. لذا اضطررنا إلى تأجيل التوزيع إلى اليوم التالي.

■ ما هي هواياتك وكيف تقضي أوقات فراغك؟

أحب الاستماع إلى الموسيقى الصومالية والرقص على أنغامها، وأستمع إليها كل يوم على محطات الإذاعة المحلية والدولية. كنت أعزف على الغيتار في المناسبات مع الأصدقاء والعائلة، وأتمنى أن أعزف على غيتاري مرة أخرى قريبًا. أستمتع بعض الأحيان بمشاهدة الأفلام.

أما في أيام الشباب، عندما كنت في المدرسة، فقد واظبت على مشاهدة مباريات كرة القدم وشاركت في سباقات الركض 1,500 متر.

■ ما هي أكثر مسألة إنسانية أثرت فيك في الصومال؟

إن كان عليّ الاختيار فسأقول النزاع المسلح الذي لم تكتب له نهاية. كنت شابًا عندما أطلقوا على بيدوا «مدينة الموت» وشهدت الأهوال التي حصلت عندما رفع رجال أسلحتهم بوجه بعضهم البعض وبدأوا في القتال الذي تسبب في الموت والدمار. والآن أرى أطفالي وهم يكبرون وسط الحرب الأهلية ومآسيها.

■ ما أهم درس تعلمته بصفتك عاملًا في المجال الإنساني لسنوات؟

لا تقطع على نفسك وعدًا لا تستطيع الوفاء به، وابق يقظًا دائمًا ■

* Rita Nyaga مساعد مسؤول الأمن الاقتصادي في بعثة اللجنة الدولية في الصومال

جيرار بترينييه...

شاهداً على 35 عاماً من العمل في الميدان الإنساني

عمل جيرار بترينييه مندوبًا في اللجنة الدولية للصليب الأحمر لمدة تزيد على 35 عامًا، طاف خلالها العالم. مكث سنوات في أميركا اللاتينية وأفريقيا، وترأس عددًا من بعثات اللجنة الدولية في العالم العربي، في مصر والكويت والمغرب. أمضى بترينييه السنوات من 2004 إلى 2009 في مصر، ولديه دائرة واسعة من الأصدقاء في «أم الدنيا» كما يحلو له أن يصف مصر وعاصمتها. في القاهرة، أبدى اهتمامًا كبيرًا بالثقافة العربية والعادات والتقاليد وتاريخ المنطقة، حتى إن «الخواجة»، كما يحب أن يسمي نفسه، تعلم أساسيات اللغة العربية وترجم للإنكليزية مجموعة من الأمثال العربية من وجهة نظر مشبعة بثقافة العمل الإنساني لم تخلُ من روح الفكاهة. كما شغف بالفن العربي لا سيما بالمطرب الراحل عبد الحليم حافظ، الذي يحفظ بعض أغانيه عن ظهر قلب. وكم تمنى العيش خلال تلك الحقبة الذهبية للموسيقى والسينما في مصر. بعد أن قرر التقاعد مبكرًا، وافق بترينييه على أن يفتح قلبه لمجلة «الإنساني» ليتحدث عن مشواره وتجاربه في الميدان وعن البيئة السياسية وتحديات العمل الإنساني التي واجهتها اللجنة الدولية كما النجاحات التي حققتها. وهنا مقتطفات من ذكرياته في العمل الإنساني:

سنوات البداية والأسباب وراء اللحاق بركب اللجنة الدولية

ولدت ونشأت في **جنيف** بسويسرا في العام 1953 ودرست في هذه المدينة التي تعد في الواقع مهد الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر. في فترة الطفولة وحتى المراهقة، كنت مبهورًا بالعوالم والثقافات الأجنبية وبدأت رحلتي مع السفر والترحال في سن مبكرة جدًا «لاكتشاف العالم ومحاولة فهمه». عندما بلغت التاسعة عشرة، وبعد أن أنهيت تعليمي الثانوي، اشتريت مع صديق لي سيارة قديمة من طراز **فولكس فاغن**. طفنا بها عدة دول كالاتحاد السوفيتي سابقًا وتنقلنا من رومانيا إلى فنلندا في زمن لم تكن فيه السياحة سهلة أو معتادة، إلا أن رحلتنا انتهت في **السويد** بعد حادث سير قضى على سيارتنا وأجبرنا على العودة إلى **سويسرا** باستيقاف السيارات المارة. وخلال فترة دراستي بالجامعة، سافرت عدة مرات، بمفردي في كثير من الأحيان، للتعرف على مناطق أخرى من العالم مثل جنوب شرق آسيا، وشمال أفريقيا، وتركيا، ومصر ولم أكن أعلم حينها أنني سأزورها مجددًا ولكن في إطار مهام رسمية. بعد تخرجي من الجامعة، وحصولي على بكالوريوس في الاقتصاد، قررت أن أقوم بجولة لمدة عام أزور فيها شمال ووسط أمريكا لأصقل مهاراتي في اللغة الإنجليزية ●●●

وأتعلم اللغة الإسبانية. وهو ما قمت به بالفعل في غواتيمالا. وكان لذلك بالطبع بعض الأثر على حياتي المهنية، إذ أمضيت 18 عامًا في أمريكا اللاتينية حيث تزوجت ورزقت بطفلين.

أحيانًا أشعر أن عملي مع اللجنة الدولية لم يأت صدفة بل كان «مقدرًا ومكتوبًا». فكما تعلمون، **جنيف** هي المدينة التي تأسست فيها المنظمة في العام 1863، على يد أحد مواطنيها، وهو **هنري دونان**. وعندما كنت أذهب إلى المدرسة الثانوية بدراجتي يوميًا، كنت أمرُّ على مبناها، وكانت تسمى آنذاك «**رابطة جمعيات الهلال الأحمر والصليب الأحمر**» (الاتحاد الدولي حاليًا). كثيرًا ما كان يجذبني الشعار الذي يزين جدرانها وترجمته الحرفية (الإنسانية هي طريق السلام). أودُّ أن أذكر أنني في يوم من الأيام، طرقت أبواب اللجنة الدولية، وكان عمري وقتها 19 عامًا تقريبًا، لمعرفة سبل العمل بها. حينها قال لي موظف الاستقبال بلطف: عليك بداية الحصول على إجازتك العلمية واكتساب بعض الخبرة العملية وحينها يمكنك بكل ترحاب التقدم لطلب وظيفة. وهذا بالضبط ما قمت به في العام 1979، بعد أن عملت بالتدريس في المدارس الثانوية لمدة عامين إثر تخرجي من الجامعة. في الحقيقة كان لسنواتي الجامعية الفضل في توجيه فكري إلى قضية ضحايا النزاعات المسلحة والأشخاص الذين ذهبوا وراء القضبان بسبب أفكارهم السياسية أو تبنيهم قيم العدالة الاجتماعية، لا سيما في الدول السلطوية، أو تلك التي تكافح من أجل التحرر من بقايا الاستعمار أو في الديكتاتوريات الشيوعية.

قبل عام واحد من التحاقي بالعمل في اللجنة الدولية، قُتل ثلاثة من مندوبيها خلال أحد أعمال عنف في **روديسيا الجنوبية** (**زيمبابوي** حاليًا)، وكان أحدهم شقيق صديقة مقربة لشقيقتي. لم يزل ذلك من عزمي على الالتحاق باللجنة الدولية، بل على العكس كان سببًا في إصراري على العمل من أجل الحفاظ على القيم الإنسانية وتعزيزها في خضم الحروب والحصول على عمل هادف ومحفز يرمي إلى مساعدة الآخرين بدلًا من العمل في القطاع الخاص، الذي كنت أدرك تمامًا أنه بعيد كل البعد عن طبيعتي وميولي الشخصية. بيد أنني لم أكن بالضرورة أنوي في ذلك الوقت تسخير سنوات عمري المهني للعمل في المجال الإنساني، إلا أن الظروف قادتني إلى ذلك ووجدت نفسي بعد قضاء ثمانية أعوام في الميدان مستعدًا تمامًا للالتزام بالعمل مع المنظمة على المدى الطويل بعد أن فطنت إلى ارتباطي الشديد بالمبادئ والقيم التي تسترشد بها.

نظرة على 35 عامًا من العمل الإنساني في جميع أنحاء العالم

اليوم قررت التقاعد مبكرًا من عملي في اللجنة الدولية، عقب إنجاز آخر مهمة لي شاء القدر أن تكون في **المغرب** حيث قضيت ستة أشهر لإرساء عمل البعثة الجديدة للجنة الدولية هناك. أتوقف هنا قليلًا لإلقاء نظرة على 35 عامًا من حياتي، في محاولة لتحديد التحديات الكبرى التي واجهتها طوال هذه الفترة والأحداث المهمة التي وقفت شاهدًا عليها سواء على مستوى التاريخ المعاصر أو على الصعيد السياسي. ثلث قرن تقريبًا مضت، بدءًا من حقبة الحرب الباردة ونهاية الاستعمار وحروب الاستقلال وسقوط حائط برلين والتبعات الدولية التي تلت ذلك بالإضافة إلى انتقال العلاقات الدولية البطيء من القطبية الثنائية إلى فترة القطب الواحد ثم المضي نحو التعددية. هذا بالإضافة إلى التحركات السياسية التي شهدها العالم على نطاق واسع مثل: الانتقال من الأنظمة الاستبدادية إلى الأنظمة الديمقراطية الرسمية في العديد من بقاع العالم، وفي ظل استمرار نزاعات مسلحة بلا هوادة، بمساعدة وكلاء في أحيان كثيرة وعلى خلفيات قضايا تتعلق بالهوية، والتبعات الإنسانية لكل ذلك. بالإضافة إلى تطور الحركات الجهادية وانتشار إيديولوجيات تتسم بالتطرف والعنف، وكذلك «تبعات الحادي عشر من سبتمبر» وما يسمى بـ«الحرب على الإرهاب» ومؤخرًا اندلاع الثورات العربية التي يطلق عليها «الربيع العربي» وما أعقبها من مرحلة مريرة.

تحديات مندوب اللجنة الدولية ومسؤولياته الدائمة

برغم أن التحديات كانت ذات طبيعة شخصية ومؤسسية، إلا أنها في الواقع كانت متشابكة إلى حد كبير. أولًا وقبل كل شيء، عندما تكون في الميدان مؤديًا دورك مندوبًا للجنة الدولية، عليك أن تتذكر دائمًا أنك تمثل المنظمة وقيمها، وأن الآخرين ينظرون إليك دائمًا على هذا النحو ويخاطبون هذا الجانب في شخصك. لذا، عليك أن تبذل كل ما بوسعك لأن تكون عند حسن ظنهم، وعند مستوى آمالهم المعقودة عليك. ينبغي لك أن تكون مقنعًا عندما تشرح للبعض على سبيل المثال لماذا يتعذر تلبية طلبهم وكيف يمكنهم التصرف للوصول إلى حل. لا أستطيع أن أنسى ما قاله لنا مندوب رفيع المستوى خلال بعض الدورات التدريبية وجلسات الإحاطة المنظمة لنا، أننا ربما نتعرض لظروف نجد أنفسنا فيها نحمل على أكتافنا كل اللجنة الدولية بثقلها ومبادئها وتاريخها وقيمها الأخلاقية. وأن علينا التصرف أو الإمساك عن التصرف في ضوء ذلك كله، وأن نكون قادرين على اتخاذ القرارات أو المبادرات الصائبة التي لها عظيم الأثر على المستوى الإنساني. في سنوات عملي الأولى، لم تكن الاتصالات سهلة وكنت أواجه لحظات أجد نفسي فيها وحيدًا لا أجد من أستشيره. تعين عليَّ تحمل المسؤولية كاملة.

ليس من السهل الالتزام **بالحياد** أثناء النزاعات بشكل محض. فالمندوب في النهاية إنسان لديه معتقداته ومواقفه الخاصة، ولا يستطيع الإنسان أن يمنع نفسه عن تكوين وجهة نظره الشخصية بشأن ما يواجهه من أوضاع وظروف. ملامسة المعاناة الإنسانية تجعل الشخص يتعاطف مع الضحايا وما يمرون به من محن. ولكنك عندما تلقي نظرة شاملة على الضحايا من مختلف الجوانب، تدرك سريعًا كيف يمكن لمن يتحدثون نيابة عنهم استغلال آلامهم لتحقيق مآرب سياسية. وأحيانًا ما نرى كيف يسقط المدنيون أسرى لقرارات وعمليات تقوم بها فصائل متحاربة، ما يجعل في الواقع من الصعب التمسك بالحياد. ولا يخفى على أحد أن الحقيقة تحتل مركز الصدارة على قائمة ضحايا النزاعات. فالخصوم يحاولون التستر على أفعالهم، ويراوغون في تحمل المسؤولية وأحيانًا ما يتهمون الطرف الآخر بارتكاب جرائم من صنع أيديهم وقد يطلقون حملاتهم الدعائية وينخرطون في قراءات قانونية، لا يستندون فيها إلا على أنصاف الحقائق، إن لم يكن على أكاذيب سافرة.

من بين الأشياء التي يتعرض لها المندوب بصفة دائمة أثناء عمله هو التلاعب بالحقائق التاريخية واستخدامها كأدوات دعائية وذلك أثناء لقائه بالقادة السياسيين والعسكريين، كمحاولة الأعداء إقناع الرأي العام والمجتمع الدولي وكسب تعاطفهم لمناصرة قضاياهم. يتعين على المندوب في مثل هذه المواقف أن يدرك سريعًا أن النهج البسيط قلما يكون مقبولًا وأن جميع الأطراف تتحمل عامة قدرًا من المسؤولية أثناء حالات العنف مع اختلاف هذا القدر بين طرف وآخر. وكما اعتدنا أن نردد أنه يتعين علينا التمسك بالحياد السياسي لنتمكن من العمل والوصول إلى جميع الأطراف، إلا أن الالتزام بهذا الحياد لا يسري على الإطلاق عندما يتعلق الأمر بمعاناة الضحايا والمحن التي يمرون بها.

كثيرًا ما كنت أتعرض إلى الإحباطات والآلام، واضطر أنا وجميع زملائي إلى التعامل معها. وبالنظر إلى كوني رئيس بعثة وهو المنصب

المندوب الذي يجري إرساله إلى بلدان تعيش حالة حرب أو حرب أهلية تكون لديه فرصة مميزة للوصول إلى أكبر الأطراف الفاعلة في النزاع

الذي شغلته طوال الجانب الأكبر من مسيرتي المهنية، تعين عليَّ شحذ همة الفرق العاملة معي ومساعدتها في الفترات المثبطة للهمم التي نمر بها بصفة مؤقتة. وكان ذلك يقع عند فقد الزملاء، والأسوأ من ذلك، عندما يكون الذين سقطوا ضحية الواجب هم أيضًا أصدقاء. هناك الكثير من الحالات التي أثرت في نفسي كثيرًا، مثلًا عندما لقيت إحدى الممرضات التي كنت أعمل معها من قبل في **بيرو** مصرعها بعد حين في **سيراليون**، وبعدها بعدة سنوات سقطت ممرضة أخرى عملت معها أيضًا في **أنغولا** و**الإكوادور** صريعة في **الشيشان**. وأتذكر أيضًا أحد عمال اللاسلكي الذي عملت معه في **سريلانكا** وسقط هو الآخر في فترة لاحقة في **العراق**. وهناك أيضًا ذكرى حزينة جدًا وهي مقتل زميل لي كان رئيس بعثة في كمين مسلح في **البوسنة** في بداية الحرب هناك منذ نحو 20 عامًا. هذه بضعة أمثلة أطرحها بشكل شخصي لأنها تركت في نفسي أثرًا لا يمكن أن يُمحى. وكثيرًا ما أفكر في جميع المتطوعين في الصليب الأحمر والهلال الأحمر الذين ضحوا بحياتهم لإنقاذ حياة غيرهم كما كانت هي الحال في **لبنان** و**فلسطين** و**سورية** وفي مناطق أخرى في الشرق الأوسط عملت بها. وأود في هذا الصدد أن أشير إلى أن اللجنة الدولية فقدت في السنوات الأخيرة زملاء في كل من **باكستان** و**ليبيا** و**أوكرانيا** و**اليمن** و**جمهورية أفريقيا الوسطى** وغيرها.

وثمة سوء فهم موجود وعلينا التعايش معه يتعلق بنطاق تطبيق **القانون الدولي الإنساني** وأهدافه الرئيسية- ذلك القانون الذي ساهمت اللجنة الدولية في صياغته وتنفذ الجانب الأكبر من عملها في ضوئه. لا يخفى عليكم أن القانون الدولي الإنساني لا يطمح إلى وقف حروب، إذ بات اللجوء إليها سلوكًا بشريًا ظهر منذ بدء الخليقة ويستمر حتى القرن الواحد والعشرين. علاوة على ذلك، هناك العديد من المؤسسات والآليات والنظم القانونية الأخرى التي تسعى لمنع النزاعات المسلحة أو لتعزيز التسوية السلمية لها حتى وإن كانت النتائج المحرزة محدودة.

يهدف القانون الدولي الإنساني إلى تنظيم استخدام القوة من جانب الأطراف المتحاربة أو الخصوم، في محاولة لكفالة احترام بعض المبادئ أثناء استخدام وسائل الحرب، مثل الحصانة التي يتمتع بها الأشخاص غير المشاركين في الأعمال العدائية، أو الذين كفوا عن المشاركة فيها (مثل الجرحى والأسرى والمدنيين بشكل عام). ويسعى القانون الدولي الإنساني للحد من الإصابات المفرطة والمعاناة التي لا داعي لها وضمان توفير الرعاية الطبية والمساعدات العاجلة لمن هم بحاجة لها وذلك بغير تحيز. هذا بالتأكيد هدف محدود، ولكن كل جهودنا ترمي إلى الوفاء بهذا التفويض الرئيسي الذي منحه المجتمع الدولي للجنة الدولية من خلال اتفاقيات جنيف المؤرخة في العام 1949 والبروتوكولين الإضافيين لها لعام 1977، بالإضافة إلى عدد من الأحكام التي اعتمدتها الأمم المتحدة وهيئات دولية أخرى مشتركة بين الدول.

لكل مهمة توليتها مزايا، وقد سمحت لي هذه المهام برصد أحداث تاريخية والمشاركة في صنعها. فالمندوب الذي يجري إرساله إلى بلدان تعيش حالة حرب أو حرب أهلية تكون لديه فرصة مميزة للوصول إلى أكبر الأطراف الفاعلة في النزاع، إذ يتعاطى معها بشأن الجوانب الإنسانية لنزاع دائر ويبذل كل ما بوسعه لإقناعها بالالتزام بالقواعد الأساسية للقانون الدولي الإنساني أو ببساطة بمبدأ الإنسانية. وهكذا، كل مهمة أعيش فيها لحظات خاصة جدًا على صعيد العمل الإنساني ذاته أو أقف فيها شاهدًا على أحداث رئيسية في المشهد السياسي. ففي **زامبيا**، حيث توليت أولى مهامي في أوائل الثمانينيات، رأيت للمرة الأولى واقع مخيمات اللاجئين الذين تدفقوا إلى «دول خط المواجهة». وفي **بوليفيا**، في وقت لاحق، كنت أزور سجناء سياسيين بعد وقوع «انقلاب» عسكري. ومن سخرية القدر، أنني وبعد 20 عامًا عندما كنت في مهمة إلى **بوليفيا** زرت القائد الذي كان على السلطة ولكن ليس في القصر الرئاسي هذه المرة بل وراء القضبان حيث كان يقضي حكمًا طويلًا بالسجن بسبب انتهاكات حقوق الإنسان المرتكبة خلال الفترة القصيرة لحكمه. وفي **نيكاراغوا**، كنا نزور أيضًا السجون التي كان يقبع فيها أعضاء سابقون في الحرس الوطني للبلاد بعد الإطاحة بالحكم الديكتاتوري **لأناستاسيو سوموزا** (Anastasio Somoza) على يد مقاتلي الساندينية. و**في كولومبيا**، وبعد سنوات قليلة، شهدت العديد من الأحداث التاريخية المرتبطة بالنزاع الدائر بين المقاتلين اليساريين والقوات المسلحة للدولة وتعرضت مكاتبنا للاستيلاء من جانب المتعاطفين مع المجموعات المتمردة التي احتلت مبانينا واحتجزتنا لعدة أيام. وعلمت أسرتي في سويسرا بالأحداث من خلال الإذاعة المحلية في جنيف في صباح ذلك اليوم واستمعوا إلى لقاء صحفي أجراه معي أحد الصحفيين نجح في الحصول على الرقم المباشر للبعثة. وكان عدد من النشطاء في مجال حقوق الإنسان الذين التقيت بهم خلال عملي قد اغتيلوا. والتقيت بزوجة المستقبل في **بوغوتا** حيث كانت تترأس القسم الإعلامي للصليب الأحمر الكولومبي وكانت تربط بين المنظمتين برامج وأنشطة مشتركة. رافقتني **ماريا** زوجتي خلال كل سنوات عملي وقدمت لي دعمها الدائم لحياتي المهنية بعد أن نحت جانبًا حياتها المهنية ولم تستطع العمل في مجالها إلا خلال فترة محدودة.

في منتصف الثمانينيات، نقلت إلى **أنغولا**، ولم يمض على زواجي سوى فترة قليلة وبات قضاء شهر العسل في هذه المهمة الجديدة أمرًا واقعًا، ولم تكن هناك أماكن للسكن واضطررنا للسكنى بشكل مؤقت داخل حاويات. وبعد ذلك سافرت للعمل في كل من **بيرو** و**شيلي** و**البرازيل** و**سريلانكا** وذلك في الفترة الممتدة من أواخر الثمانينيات وحتى منتصف **التسعينيات**. وعدت إلى الأرجنتين في وقت لاحق في أوائل عام 2000.

وفي **بيرو**، حيث رزقت بابنتي ماري كلير، شاهدنا قتالًا مستمرًا بلا هوادة بين قوات الأمن وحركة التمرد الماوية التي كان يطلق عليها «الدرب الساطع» (Shining Path)، صاحبته موجة من الإرهاب هزت الريف والمدينة على حد سواء. وفي **تشيلي**، حيث جاء إلى الدنيا ابني سباستيان، شهدت المرحلة الانتقالية بين النظام العسكري الذي حكم البلاد لمدة 17 عامًا والحكومة الجديدة المنتخبة ديمقراطيًا. وكان الحدث الرمزي الذي شاركت فيه هو مراسم الدفن الرسمية للرئيس الاشتراكي السابق **سلفادور الليندي** (Salvador Allende)، بعد سنوات عديدة على وفاته، بحضور زعماء العالم الذين جاءوا لتقديم واجب العزاء.

وبعد سنوات وتحديدًا في العام 2004، حضرت مناسبة مماثلة كانت هذه المرة في **القاهرة**، حيث شاركت أيضًا في حفل تكريم لـ **ياسر عرفات** بعد أن وافته المنية في فرنسا ودفنه رسميًا في **رام الله** في فلسطين.

وبعد ذلك، نقلت إلى **الشرق الأوسط** لكي أترأس بعثة اللجنة الدولية في **القاهرة** في ●●●

كتيب الأمثال الشعبية العربية

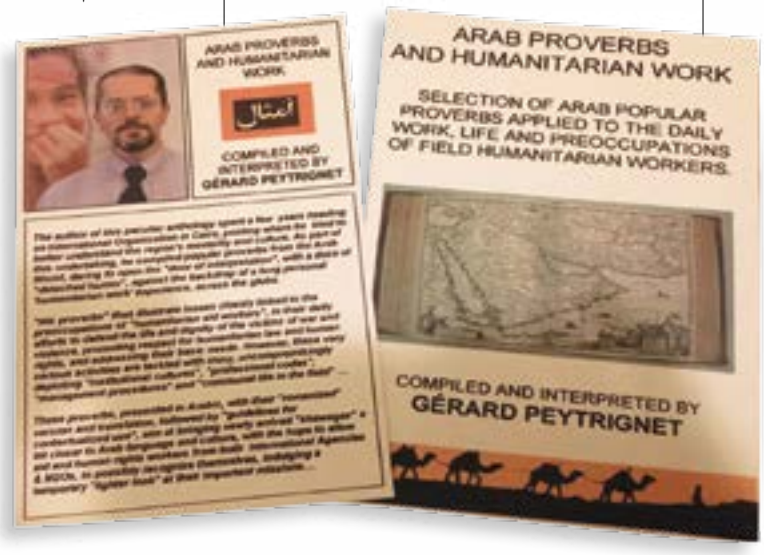

ICRC

●●● منتصف العقد الأول من الألفية الثالثة. وكان من بين المهام التي كلفت بها الإشراف على أنشطتنا في القاهرة لا سيما العلاقات مع جامعة الدول العربية والمركز الإعلامي للدعم الإقليمي في البعثة الذي يغطي العالم العربي ويتولى ضمن العديد من المهام إصدار **مجلة الإنساني**. وكنا نعمل أيضًا على تنفيذ البرامج الخاصة بـ «أنشطة الحماية» عبر العالم العربي بالتعاون مع خبراء متخصصين في مجال نشر القانون الدولي الإنساني والتدريب عليه وتدريسه لمختلف الفئات المستهدفة من السكان مثل الدوائر الحكومية والعسكرية والأوساط الأكاديمية والمدارس الثانوية ووسائل الإعلام ومنظمات المجتمع المدني.

وهكذا عدت من جديد للتواصل مع الشرق الأوسط تحت سماء القاهرة وفي شوارعها، تلك المدينة التي لا تنام ويحلو لسكانها منذ القدم تسميتها «أم الدنيا». يعلم زائر «أم الدنيا» أن هناك كلمات سريعة التعلم. وبالنسبة لي كانت أولى كلماتي باللغة العربية هي «زحمة» و«دوشة» و«فوضى». اغتنمت فرصة عملي في القاهرة لأصقل معرفتي بالشرق الأوسط، من حيث الثقافة والتاريخ والمعضلات السياسية. حضرت دروسًا لتعلم اللغة العربية الفصحى والعامية المصرية. ودفعني شغفي بالحكم الشائعة والأقوال المأثورة والأمثال والتعبيرات الأدبية إلى إصدار كتيب يحمل بعض الأمثال الشعبية مصحوبة ببعض الشرح حول إمكانية تطبيقها في الحياة اليومية الخاصة بالعاملين في المجال الإنساني. ومن بين الأمثلة الواردة فيه، المثل المشهور «قدام الجواب جواب» والذي شرحته بقولي: «عندما تريد أن يفهم قصدك بشكل جيد أثناء التفاوض بشأن زيارة السجناء أو الوصول إلى مناطق يصعب الوصول إليها».

القاهرة، منبر لمتابعة الشأن العربي

كانت السنوات التي قضيتها في مصر حافلة بالتجارب الإنسانية والتحديات المهنية في آنٍ واحد. وبالرغم من أن البلاد لم تعانِ نزاعات مباشرة أو كبيرة أثناء تلك الفترة (فلم أكن أتخيل آنذاك وقوع تلك الاضطرابات التي هزت البلاد بعد ذلك بسنوات ورؤية الرئيس **حسني مبارك** خلف القضبان)، تزامنت فترة عملي في القاهرة مع استمرار وتيرة العنف في فلسطين. فقد زرت الضفة الغربية وقطاع غزة، قبل الانسحاب الإسرائيلي من القطاع وسيطرة **حماس** عليه في وقت لاحق. وتزامن ذلك أيضًا مع تداعيات التدخل في العراق بقيادة الولايات المتحدة وسقوط نظام **صدام حسين** والدخول في دوامة العنف الطائفي الذي أعقب ذلك، ما أدى إلى تفاقم العداء بين السنة والشيعة، وكان مقدمة لما تعانيه المنطقة بأسرها اليوم.

لم تكن محنة الفلسطينيين تخفى على أحد كما نراها من القاهرة. فأثناء العمليات الإسرائيلية في غزة والتي كان يشار إليها بـ «عملية الرصاص المصبوب» في عام 2008، تعين على مصر مواجهة تدفق المدنيين الذين تقطعت بهم السبل في المنطقة الحدودية في رفح في شمال سيناء. وكان عليها التعامل مع كميات كبيرة من مواد الإغاثة التي كان يُنتظر السماح لها بدخول الجانب الفلسطيني. تمكنًا من زيارة المنطقة في العديد من المناسبات برفقة الأصدقاء والزملاء من الهلال الأحمر المصري في محاولة لتقديم الدعم. وكثيرًا ما التقينا بأشخاص علت إمارات اليأس وجوههم وهم ينتظرون الحصول على العلاج الطبي أو ببساطة جمع شملهم مع أسرهم. وكانت هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها أناسًا يريدون العودة إلى ديارهم بأي ثمن غير آبهين بتساقط القنابل فوق الرؤوس أو محاولين الهرب. كنت قد شهدت قبل عامين، حرب لبنان التي استغرقت مدة قصيرة في العام 2006 وأسفرت عن دمار كبير. لقد زرت البلاد بعد أسابيع قليلة من الأحداث وهالني حجم الدمار الذي شاهدته. وكان هذا لسوء الطالع مقدمة لحروب أكثر ضراوة وتدميرًا كما هي الحال في العراق وسورية وليبيا واليمن. أسفرت هذه الحروب عن محو مدن بأكملها من على سطح البسيطة تقريبًا، بالإضافة إلى ملايين اللاجئين والنازحين داخليًا فضلًا عن انتهاكات لا تعد ولا تحصى للقانون الدولي الإنساني وحقوق الإنسان، ارتكبت على أيدي قوات مسلحة وميليشيات ومجموعات مسلحة من غير الدول، بالإضافة إلى أطراف متدخلة من دول وائتلافات.

التواصل مع الدوائر الإسلامية

لم تكن اللجنة الدولية، بكل أسف، تحظى دائمًا بالاعتراف الواجب لها كطرف فاعل يتسم بالحياد وعدم التحيز بشكل خالص. لم يسلم الأمر في بعض الأحيان من التعرض للاستهداف أو السقوط ضحية لأضرار جانبية، ما فرض علينا بالتالي في بعض المناطق المحدودة، العمل بشكل مؤقت أو بالتعاون مع عدد محدود من المندوبين الأجانب والاعتماد بشكل كبير على الموظفين المحليين وكذلك

في حرب غزة، كانت هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها أناسًا يريدون العودة إلى ديارهم بأي ثمن غير آبهين بتساقط القنابل فوق الرؤوس

في زيارة إلى العاصمة الكوبية هافانا ومقابلة الرئيس السابق فيدل كاسترو في العام 1983

ICRC

مع رئيسة سريلانكا السابقة تشاندريكا كماراتونغا في العام 1996

ICRC

مع جوليا جوينر، مفوضة الشؤون السياسية بالاتحاد الأفريقي في العام 2009

ICRC

على المنظمات المحلية مثل الجمعيات الوطنية للهلال الأحمر كشركاء منفذين.

بذلنا خلال هذه الفترة جهودًا كبيرة، إذ تواصلنا مع المجموعات الإسلامية في جميع أنحاء المنطقة، وذلك لشرح طبيعة عملنا المستقل بشكل أفضل. حاولنا توضيح عدم وجود أية أجندات دينية لدينا، وهي معلومة مغلوطة ترتبط غالبًا بتفسير خاطئ لمعنى شارة اللجنة الدولية وهي صليب أحمر على خلفية بيضاء، أي معكوس العلم الوطني السويسري، وهو البلد الذي خرجت فيه المنظمة إلى النور. وعملنا أيضًا من أجل تعزيز المعرفة بالنقاط المشتركة بين القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية والفقه. وأحرزنا بعض النجاح في التصدي لهذه التصورات الخاطئة من خلال النقاش المباشر مع المشايخ والعلماء والزعماء الدينيين والعشائريين من سُنَّة وشيعة ومختلف الانتماءات السياسية. ونظمنا ندوات وموائد مستديرة، واستضفنا محاورين من بينهم، بالإضافة إلى العديد من الجمعيات الخيرية الإسلامية، للحصول على التقدير الفعلي لما نضطلع به من عمل.

الانتقال إلى الخليج

ترأست لفترة قصيرة بعثة اللجنة الدولية لدى الاتحاد الأفريقي في **أديس أبابا** بإثيوبيا، حيث كنت بالأساس أمثل المنظمة في المؤتمرات المعقودة في جميع أنحاء القارة الأفريقية، في محاولة لتعزيز التعاون والتنسيق مع الجهات الإنسانية الفاعلة الأخرى والحصول على دعم من قادة دول الاتحاد الأفريقي لعملياتنا. ثم انتقلت إلى **الكويت** لرئاسة البعثة الإقليمية للجنة الدولية في دول مجلس التعاون الخليجي لأمضي هناك السنوات الأربع الأخيرة من حياتي المهنية. هناك كنت مسؤولًا عن علاقات اللجنة الدولية بنظامين ملكيين، وثلاث إمارات وسلطنة واحدة بالإضافة إلى العلاقات مع منظمة التعاون الإسلامي ومقرها جدة. وكان من بين مهامي، إقامة علاقات مع مسؤولين حكوميين لتعزيز مستوى قبول اللجنة الدولية في هذه البلدان وزيادة دعمها على المستويين السياسي والمالي. وأجريت عدة زيارات رفيعة المستوى لحكام دول الخليج مرافقًا رئيس اللجنة الدولية (وعملت في الواقع مع أربعة منهم). بذلت جهودًا كبيرة أيضًا في إطار التعاون الفعَّال القائم مع الجمعيات الوطنية لبلدان الخليج التي شاركت بشكل مؤثر في عمليات الإغاثة الدولية باسم حكوماتها.

ونجحنا في إطار أنشطتنا الميدانية في التفاوض بشأن الحصول على اتفاق عام يسمح بموجبه لمندوبي اللجنة الدولية بزيارة المحتجزين لأسباب أمنية في **البحرين** بعد الاضطرابات التي وقعت هناك في إطار ما يسمى بالربيع العربي في العام 2011. وفي **الكويت**، كنت أيضًا مسؤولًا عن رئاسة «الآلية الثلاثية» المكلفة بالكشف عن مصير الأشخاص المفقودين في الفترة بين غزو العراق للكويت في التسعينيات و«حرب التحرير» التي دارت في وقت لاحق. وكنا نبحث بشكل رئيسي عن معلومات تسمح بتحديد المواقع التي دفن بها سجناء كويتيون لقوا مصرعهم أثناء احتجازهم في العراق إبان حكم **صدام حسين**، وجرى التخلص من جثامينهم. وكنا أيضًا نبحث عن رفات الجنود العراقيين الذين قتلوا في صحراء الكويت أثناء العمليات العسكرية التي جرت في العام 1991. كانت هذه المهمة شديدة الصعوبة، إذ لم يكن من السهل الحصول على معلومات موثوقة لا سيما بعد مرور 20 عامًا على وقوع الأحداث بالإضافة إلى عدم قدرة الشهود الرئيسيين على التعاون أو عدم رغبتهم في ذلك. إلا أن عمليات الحفر التي قمنا بها لم يحالفها التوفيق في معظم الأوقات. وكما تعلمون، تدعم اللجنة الدولية الأسر والدول الأصلية لجميع الأشخاص المفقودين خلال هذه العمليات، وتقدم خبراتها في مجال الطب الشرعي وتؤدي دورها كوسيط محايد.

تمكنت بفضل المهمة التي كنت أتولاها في الكويت من أن أكون شاهدًا مباشرًا على التطورات التي حدثت في العالم العربي أثناء فترة حاسمة من تاريخه. ووقفت على الدور الذي لعبته دول الخليج للتأثير على مسار الأحداث في البلدان المجاورة، وحماية الأنظمة الحاكمة من وصول رياح التغيير وما تحمله من تهديدات إلى أراضيها، في ظل المطالب الشعبية في جميع أنحاء العالم العربي، من المغرب إلى عمان، لا سيما في تونس وليبيا ومصر وسورية والعراق والبحرين، مع اختلاف خصوصية كل سياق. وتمكنت أيضًا من رصد تزايد الصدع بين المملكة العربية السعودية وإيران، وحلفائهما، من حيث الصراع على السلطة، الذي ●●●

تجسد في كل من سورية واليمن، والتنافس بين المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة من ناحية، وبين قطر على الجانب الآخر، من حيث دعم الخطوط الإيديولوجية، وهي رؤى السلفية والإخوان المسلمين للإسلام السياسي.

تأملات حول آخر التطورات في الشرق الأوسط والعالم العربي بشكل عام

كان من بين أهم الأحداث التي دارت خلال الفترة الأخيرة التي قضيتها في المنطقة هو بروز تنظيم «الدولة الإسلامية» أو «داعش» على الساحة بشكل كبير في العراق وسورية، والجماعات الجديدة المنضوية تحت لوائها في شمال أفريقيا ومنطقة الساحل ونيجيريا والصومال وحتى في شبه جزيرة سيناء المصرية، من بين مناطق أخرى. هذا إضافة إلى التدخل العسكري المباشر الجديد من الدول الغربية وتركيا، بهدف محاولة حل النزاع السوري ومأساة إنسانية لا نهاية لها بعد أربع سنوات من حروب ضارية أسفرت عن إزهاق ربع مليون نفس بشرية وأربعة ملايين لاجئ وما يربو على ستة ملايين نازح داخلي. وهو وضع امتدت آثاره إلى خارج الحدود وطالت أوروبا مع تواصل تدفق المهاجرين في محاولة للجوء إلى القارة العجوز.

ومن خلال رؤيتي للأحداث الدائرة خلال السنوات الأخيرة في الشرق الأوسط والعالم الإسلامي بشكل عام، يمكنني القول بكل أسف إن عملية تطبيق القانون الدولي الإنساني تقهقرت. وتعرضت قواعد هذا القانون إلى انتهاكات جسيمة على مرأى ومسمع من الجميع في كثير من الأحيان، إن لم تكن تنتهك عمدًا سواء من جانب دول أو أطراف فاعلة من غير الدول في ظل الإفلات الكامل من العقاب. ونجد أن أهم القيم الإنسانية المقدسة، مثل احترام حياة الأسرى والجرحى، وخدمات الرعاية الصحية والعمل الإنساني بشكل عام، ناهيك عن احترام حياة المدنيين يقابل جميعها بتجاهل صارخ، مع غلبة التطرف الفكري والديني والطائفي على القتال الدائر تحت شعار «الحياة أو الموت»، وهو أمر قد يزيد من قتامة الأيام القادمة لا قدر الله. بيد أن اللجنة الدولية لا تقف مكتوفة الأيدي بل تواصل «معركتها» من خلال تعزيز حجم أنشطتها الإنسانية وتنويعها مع بذل جهود غير مسبوقة لتوفير التمويل اللازم لذلك دون التخلي عن حملاتها لتعزيز احترام القانون الدولي الإنساني ومبادئه على مستوى جميع الأطراف.

كلمة أخيرة.. ونظرة على المستقبل

مرت سنوات خدمتي تحت راية الصليب الأحمر كلمح البصر، غرقت خلالها في عمل استحوذ على كل اهتمامي وكان مصدر إلهام لي منذ اليوم الأول وحتى اليوم الأخير. ولطالما أعجبت بمقولة لـدوستويفسكي معلقة في مدخل متحف الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر في **جنيف** لما تنطوي عليه من حكمة وواقعية: «**كل إنسان مسؤول أمام جميع البشر وعن كل شيء**». فثمة مسؤولية جماعية بالفعل والكل لديه قدرة على تغيير الأمور. وأشعر أنه بإمكاني –بكل تواضع– أن أستعير هنا بعض ما ورد في الإنجيل الذي طالما احتفظ به والداي على طاولة الطعام: «**لقد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان**». لقد حالفني الحظ أيضًا لنجاحي في التوفيق بين حياتي الشخصية والمهنية وحرصت على أن ترافقني زوجتي وأولادي أينما ذهبت في معظم الوقت. وبعد أن طافا العالم معي قرر ابني وابنتي الدراسة والعيش في سويسرا وهي البلد الأجنبي بالنسبة لهما وهما حاليًا يبدآن حياتهما العملية. وفزت خلال عملي بثقة رؤسائي وحظي عملي والتزامي بكل التقدير ما فتح أمامي الأبواب لتولي الوظائف والمهام الصعبة. وأتيحت لي الفرصة للعمل في مقر اللجنة الدولية بجنيف في مجال الدبلوماسية الإنسانية والتعاون مع المنظمات الدولية والإقليمية، لكنني لم أكن أشعر بأنني أديت واجبي بالفعل إلا في الميدان. لقد اتسع نطاق اللجنة الدولية كثيرًا خلال السنوات الأخيرة وباتت بيئة العمل الإنساني أكثر تعقيدًا وتنافسية على غرار عالم السياسة. وساهمت التكنولوجيا الحديثة في توفير أدوات أفضل بيد أنه ينبغي لنا ألا نتحول إلى «**مندوبين افتراضيين**». فبالرغم من أن البداية كانت في عصر الإذاعة والتلغراف والتلكس والفاكس والرسائل اللاسلكية وأخيرًا أجهزة الكمبيوتر والهواتف الذكية، طور الكثيرون مثلي طرق عملنا لتواكب هذه التطورات الحديثة في عالم التكنولوجيا لكننا ما زلنا نتذكر «ما قبل العصر الرقمي» والجوانب الملموسة من التفاعلات الاجتماعية والتجارية. فتحت اللجنة الدولية أبوابها لتعيين موظفين من جنسيات أخرى غير السويسريين وذلك منذ 20 عامًا وأصبح لديها الآن مندوبون ورؤساء بعثات من بلدان وخلفيات متنوعة. واتسعت الفرص أمام الموظفين المحليين للتقدم لنيل مختلف الوظائف المتاحة تقريبًا. وكم أذهلتني رؤية كيفية تبنى جميع موظفي اللجنة الدولية المبادئ والقيم المشتركة التي تقوم عليها المنظمة وإيمانهم بها وقد أصبحت سمة عالمية تجمعهم بالرغم من الطابع الدولي الذي اكتسبته اللجنة الدولية بالفعل.

واليوم، أعيش في مدينة **جنيف**، بالقرب من المكان الذي شهد سنوات الصبا ويملؤني شعور بالفخر بما أنجزته وقناعة بأنني أديت مهمتي كاملة، وحان الوقت للتطلع إلى القيام بأنشطة أخرى ومواجهة تحديات جديدة. وأرادت العناية الإلهية أن أعيش بقرب والديَّ الطاعنين في السن وأن أكون لهما السند في الأيام المقبلة. وأشعر أحيانًا بالحزن والاعتراف بالجميل أيضًا لما عاشاه من خوف وقلق لفترات طويلة بسبب بعدهما عن ابنهما وأسرته ووجودهم في مناطق حرب. ولديَّ الآن مشاريع للمستقبل، بعضها على المستوى الشخصي، إذ أود الاستمتاع بممارسة الرياضة والقراءة والكتابة والفن بجميع أنواعه وأشكاله وأيضًا السفر والترحال، العودة إلى الأماكن التي عملت بها ولقاء الأصدقاء والزملاء. ولكني لم أطوِ صفحة العمل الإنساني، وعلى استعداد لتولي مهام قصيرة في المستقبل أو العمل كمستشار للجنة الدولية أو لجهات أخرى لكي أنقل إلى الأجيال الشابة التجارب والمعارف التي اكتسبتها.

وفي النهاية، يمكنني القول بكل صراحة إن الدرس المستفاد من حياتي المهنية يتلخص في كلمات ذات مغزى ودلالة وهي التواضع واحترام الآخر بغض النظر عن المناصب والمكانة. فكثيرًا ما جمعتني الظروف بأشخاص رائعين أثناء لقاءاتي بشخصيات مهمة في الساحتين السياسية والدبلوماسية أو في دوائر أخرى. ورأيت أيضًا تقلب الأحوال وأحيانًا حالات نفاق وكذب صريح وحوارات سطحية. وربما أتت الحكمة من أفواه البسطاء ومن هم على سجيتهم أكثر منها على ألسنة المقتدرين. قصتي ليست فريدة من نوعها، وقد تشبه عشرات بل مئات القصص التي عاشها زملاء آخرون. إلا أن ما يجمعنا هو قدرتنا وقوتنا الحقيقية التي تكمن في كيفية «إحداث الفرق» من خلال الحماس والخبرات المتراكمة لإعلاء أهداف المنظمة. وفي ظل غياب أي بارقة أمل في وقف اللجوء إلى العنف المسلح لتسوية الخلافات أو لتغيير الأنظمة والرؤى السياسية، تستمر الحاجة إلى عمل المنظمة وقيامها بتنفيذ المهمة الموكلة إليها وذلك لفترة طويلة. لذلك، لا يزال أمامنا سنوات عديدة من العمل المتواصل في خدمة القضايا الإنسانية بكل إخلاص وفاعلية ■

قصتي ليست فريدة من نوعها، وقد تشبه عشرات بل مئات القصص التي عاشها زملاء آخرون. إلا أن ما يجمعنا هو قدرتنا وقوتنا الحقيقية التي تكمن في كيفية «إحداث الفرق» من خلال الحماس والخبرات المتراكمة لإعلاء أهداف المنظمة

الجماعة الشعبية وصياغة قواعد أخلاقية لحروب السيرة الهلالية

سيد ضيف الله*

تتميز السيرة الهلالية عن غيرها من السير الشعبية بأنها السيرة الوحيدة التي لا زالت حية يرويها الناس في القرى والنجوع. ولا شك أن الطبيعة الشعرية التي تروى بها هذه السيرة ساعدت على استمرار تناقلها على الألسن، بينما طار من ذاكرة الناس وغاب عن ألسنتهم غيرها من السير الشعبية التي اتخذت من النثر شكلًا للتعبير عن حياة أحد أبطال الجماعة الشعبية. ولا نظن أن الطبيعة الشعرية كانت قادرة وحدها على حفظ السيرة حية واستمرارها؛ فموضوع **السيرة الهلالية** ذاته ومنظومة القيم التي استندت إليها السيرة كانا سببين أساسيين وراء استمرار **السيرة الهلالية** مروية شفاهة، بل ومتجددة على الألسن بتجدد سياقات التلقي لتلبية احتياجات الناس الفنية والاجتماعية والنفسية.

صراع عربي– عربي

موضوع **السيرة الهلالية** هو الصراع العربي–العربي، وهذا الموضوع لم يُطرح في أي سيرة من السير الشعبية الأخرى سواء قبل الإسلام أو بعده، فكل السير الشعبية باستثناء السيرة الهلالية كان موضوع الصراع فيها هو الصراع مع الآخر الاستعماري، المحتل للأرض المهدِّد للعقيدة الدينية. وبالتالي كان البطل في السير الشعبية بطلاً قوميًّا مدافعًا عن الأمة والدين، بينما كان في **السيرة الهلالية** بطلاً قبليًّا مدافعًا عن قبيلته وسلطانها.

ومع ذلك، وللمفارقة، تجمدت السير الشعبية داخل الكتب والمخطوطات بينما كانت السيرة الهلالية تتجدد الدماء فيها؛ وذلك لسببين؛ الأول أن هذه السيرة بطرحها لهذا الموضوع كانت تجسِّد وتتماهى مع الواقع العربي. لا سيما أنها كانت مكتنزة بمنظومة القيم القبلية التي راحت تغذِّي التعصب لانتماءات دون الانتماء الوطني أو القومي. أما السبب الثاني فقد كان الطبيعة الشعرية التي جعلت من السيرة أنشودة فخر بالنصر لفريق من المتلقين، وموالًا حزينًا يرثي الحال ويشكو الزمان لفريق آخر من المتلقين في الوقت نفسه.

والمدهش أن الناس عند تلقيهم هذه السيرة كانوا يحاولون أن يغيروا من الطبيعة القبلية للصراع (العربي–العربي) ليجعلوها سيرة قومية كما فعل الفلسطينيون حين حولوا أبا زيد الهلالي إلى مدافع عن فلسطين في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي. إن محاولات الناس في سياقات التلقي المختلفة لتغيير طبيعة الصراع القبلي إلى صراع قومي أو ديني هي محاولات تكشف عن رفض لواقع لم يمكنهم تغييره إلا في الفن.

صاحب محاولات تغيير طبيعة الصراع القبلي في السيرة الهلالية والتخفيف من النزعة القبلية المتعصبة محاولات لاستحواذ كل طرف من طرفي الصراع القبلي على الغطاء الأخلاقي والديني لأطماعه القبلية. فالصراع بين قبيلة **بني هلال** و**الزناتي خليفة** حاكم تونس وقبيلته (**الزناتة**) هو في جوهره صراع على الأرض والثروات، لكنه اتخذ أبعادًا أخرى فتم تصويره على أنه حرب من أجل الكرامة المهدرة أو حرب أشعلها حب **سُعدى** ابنة **الزناتي ليونس** ابن أخت **أبي زيد الهلالي** أثناء رحلة استطلاعهم لأرض تونس، لكن الأهم أنها حرب يتمسك فيها فريق البطل بأن يكون ممثلًا للعقيدة الإسلامية وشروطها للصراع.

ومن المهم هنا أن نتأمل التفسير القدري الذي تقدمه السيرة للصراع بين **الهلالية** و**الزناتة**، بل والتنبؤ بانتصار **الهلالية** ومقتل **الزناتي خليفة** على يد **دياب بن غانم**. إن القول بأن الصراع مقدرٌ ومكتوب على أطراف الصراع، فيه تجاهل لأسباب الصراع الحقيقية والتي يمكن مواجهتها بمزيد من التفاوض والحوار بل والتعايش بين قبائل تنتمي للهوية نفسها. ولهذا كان

لم تخل الصراعات الكثيرة في السيرة الهلالية، تلك الملحمة الشعبية الراسخة، من قواعد وأخلاقيات صاغتها مخيلة الجماعة الشعبية. رفعت هذه المخيلة من قدر من احترموا قواعد الصراع، وفي المقابل عاقبت كل من انتهك هذه القواعد غير المكتوبة

* ناقد مصري ومحاضر بالجامعة الأميركية بالقاهرة

استخدام الوعي القدري لتسويغ صراع لا مسوِّغ له من الناحية الإنسانية.

الخصم غير الأخلاقي

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد من محاولات تسويغ الصراع القبلي بمسوِّغات دينية؛ إذ يستحوذ البطل على منظومة القيم الدينية كاملة ليغدو الخصم غير أخلاقي في حربه! وهذا يعكس ضرورة حرص الجماعة الشعبية على أن يكون بطلها حتى لو كان يخوض صراعًا قبليًّا متسمًا بأخلاق الأبطال في صراعهم والتي هي أخلاق تتسق من منظور العقل الجمعي للمتلقين مع العقيدة الدينية للمسلمين الذين يمثلون أغلبية جمهور السيرة الهلالية.

ومن هنا تبدو أخلاق الصراع في السيرة الهلالية هي نتيجة عملية الشد والجذب بين منظومتين متنافرتين من الأخلاق: منظومة الأخلاق القبلية، ومنظومة الأخلاق الدينية. ويمكن أن ينقسم الصف الواحد بين بطلين أحدهما يقوم بتصرفات غير أخلاقية تجاه الخصم، وبطل آخر يحافظ على أخلاق الصراع كما ينبغي أن تكون بين الأبطال. فالبطولة صلة رحم بين أهلها من الخصوم، بمعنى أن احترام البطل لخصمه واجب، إذا كان يعرف في خصمه خصال هذه البطولة، وهو ما يمكن أن نلمسه في تلك العلاقة التي ترصدها السيرة الهلالية بين الخصمين الكبيرين في السيرة وهما الزناتي خليفة حاكم تونس وأبو زيد الهلالي قائد جيوش الهلالية في تغريبتهم الغازية لتونس. فالزناتي خليفة يعبر بوضوح عن أمنية دفينة في داخله وهي أنه كان يتمنى أن يكون **أبو زيد** ولدًا له لبطولته وفروسيته وذكائه ومكانته بين أهله التي اكتسبها نتيجة حرصه على أن يكون حاميًا للتقاليد والأخلاق. وفي الوقت نفسه يعبر **أبو زيد** عن أمنيته بأنه لو كان يختار أبًا له ما اختار سوى **الزناتي خليفة** لبطولته بمعناها الشامل الجسدي والأخلاقي. هذا بينما كان **أبو زيد** يعادي والده (**رزق بن نايل**) ويحاربه حربًا شرسة حتى كاد أن يسلب منه كل ما عرف عنه من تاريخ بطولي في الحروب بسبب أنه لم يكن بطلاً بالمعنى الأخلاقي حين انطلت عليه أقاويل بعض قومه حين طعنوا في شرف زوجته **خضراء الشريفة** لإنجابها غلامًا أسود. لقد راح البطل يفعل أفعالًا غير بطولية وفي مقدمتها التخلي عن زوجته وطردها مع وليدها لتعود لأهلها.

ومن هنا كان من الصعب على رواة السيرة الهلالية أن يجعلوا لأبطال السيرة طبقات دون أن يكون الأساس الأخلاقي للبطولة هو المعيار الأول في وضع كل بطل في طبقته المناسبة لصفاته الأخلاقية قبل صفاته الحربية. لهذا نجد السيرة تضع الصراع بين الزناتي وأبو زيد الهلالي في صورة صراع ينبغي أن ينتهي بمقتل أحدهما على يد الآخر، بل نكاد لا نجد له ذكرًا في العديد من روايات السيرة الهلالية؛ حيث من غير المقبول أن يُقتل بطل **كالزناتي** دون أن يتم تصويره على أنه قد وقع في مخالفة أخلاقية لأعراف وتقاليد الصراع تبرر مقتله تحقيقًا لنبوءة العرافين.

فالنبوءة تقول بأن **الزناتي** سوف يُقتل على يد **دياب بن غانم**، ولأن **دياب** غائب عن ساحة الصراع لخلاف مع رفقائه في الحرب، فإن استعادته لنصرة الهلالية على **دياب بن غانم** صارت ضرورة، وفي الوقت نفسه لا بد من تشويه بطولة الخصم الذي ارتفعت به السيرة لمصاف الأبطال العظام بالمعنى الشامل للكلمة حتى كاد يفوق طبقة أبو زيد الهلالي نفسه في البطولة.

وهنا نجدنا أمام حيلة داهية الهلالية من النساء وهي **الجازية**، التي دفعت باتجاه أن ينزل لمواجهة **الزناتي** حليف **دياب بن غانم** وصديقه **الخفاجي عامر**. فإن قتل الزناتي

رسم لأبوزيد الهلالي سلامة، من ملصق شعبي مصري لتزيين حوائط المحلات والبيوت فيما قبل منتصف القرن الماضي

ببطولته الفائقة فبها ونعمت، وإن قُتل فتلك هي الضرورة التي لأجلها يعود **دياب بن غانم** لينتقم من قاتل صديقه والذي عجز عن قتله صناديد الأبطال من الهلالية.

قواعد الحرب

إن تشويه بطولة **الزناتي** لم يكن لسبب فني يتعلق بفنون الحرب وإنما لسبب أخلاقي، لقد خطط **الزناتي** لاستدراج **الخفاجي عامر** للموت حين فر من أمامه في المعركة فتبعه **الخفاجي** حتى دخل وسط أهل **الزناتي** وجنوده، وهنا انقض عليه أحد الجنود وطعنه من الخلف. ورغم أن الزناتي لم يكن هو من طعن خصمه من الخلف، فإن قتل شخص من الخلف عارٌ يكسو ليس الجندي فقط وإنما القائد البطل نفسه. وتلك واحدة من أهم قواعد الصراع بين الأبطال، ومخالفتها انتقاص، بل دحض للبطولة وتجريد منها.

فإذا كنا قد رأينا أن احترام المرأة قاعدة يجب على من يخالفها أن تنتقص الجماعة الشعبية من بطولته حتى بيد ابنه نفسه، فإن القتل من الخلف طعن في استحقاق مرتكبها لمعنى البطولة بل وطعن في بطولة قائده نفسه حتى لو كان يحميه ويدفع عنه الموت. الموت في مواجهة خصم أحب عند فرسان العرب من النجاة على يد جندي يطعن الخصم من الظهر. أما القاعدة الأخلاقية الثالثة التي أبرزتها السيرة الهلالية فهي نفي البطولة عمن يدعيها إذا مثّل بجثة خصمه بعد هزيمته.

تنبأ العرافون بقتل الزناتي خليفة، وجرى ذكره أكثر من مرة في السيرة، وقد علم بالنبوءة وسمع بها من الفريقين الكثيرون، فهذا **علام** وزير **الزناتي** وابن عمه وضارب الرمل يعرف بالنبوءة ويؤمن بصدقها من قبل التغريبة، بل وينظمها شعرًا لفريق الاستطلاع الذي أوفده الخصوم من الهلالية لاستكشاف أرض تونس.

تطيب لكم من نجد إلى قاع تونس
فلا تخشوا إلى بلاد المغارب
يجيكم أبو سعدى الزناتي خليفة
يخلي دماكم على الأرض سكايب
ومن بعدها يأتي دياب ويقتله
بمزراق في عينيه يقد القضايب

ومع ذلك لم يكن أحد يفكر في عدالة النبوءة ومدى موافقتها- إن تحققت- لميزان العدل الذي يزن فعل الأبطال ويميز بين مراتبهم البطولية؛ ذلك أن الزناتي نفسه لم ينكر إمكانية تحقق النبوءة، وإنما كان ينكر على نفسه كشخص مؤمن بالله وبالقضاء والقدر أن يصدق أن هناك من يعلم الغيب غير الله. لذا كان الزناتي الأكثر إيمانًا وعقلانية في الوقت نفسه وسط مجتمع تحركه النبوءات وتسيطر على أحداثه الكبرى.

لكن **الزناتي** الذي أنكر النبوءة لإيمانه بأن الله وحده عالم الغيب يتغير موقفه حين يجد النبوءة في طريقها إلى التحقق. إذ يبدأ الخوف يتسرب إليه متذكرًا النبوءة بمجرد رؤيته **دياب** في أرض المعركة وقد عاد من غيبته ليقتله بحربته بين عينيه. ينظم **الزناتي** حالة ارتباكه وخوفه الذي ينتقص من بطولته:

قال الزناتي يبقى هو دياب
اللي الرمل عليه قايل
أنا بايت ليلي أحسب ميت حساب
آدي أسد الهلايل

لم يكن الخوف ليتسرب إلى البطل الزناتي في السيرة الهلالية إلا بعد أن تم تمهيد المتلقين بوقوع خطيئة تنتقص من استحقاقه طبقته بين الأبطال وهي مقتل خصم له من الخلف على يد أحد جنوده. وفي الوقت نفسه، لا يعني ذلك أن من سيقتله وفقًا للنبوءة هو الأعلى منه طبقة في البطولة الحربية والأخلاقية، وإنما بطل اختارته النبوءة لتحقيق القصاص لمقتل صديق له قُتل من الخلف. وهنا نلحظ أن من أخلاقيات الصراع إلى جانب احترام المرأة وعدم القتل من الخلف ضرورة القصاص للمقتول من الظهر أو المقتول غدرًا وظلمًا، وأن السماء تحرك لذلك الغرض من تراه.

المعنى الشامل للبطولة

واختيار دياب لتحقيق القصاص لمقتل صديقه غدرًا هو اختيارٌ مناسبٌ جدًّا ليس لأنه الأعلى بطولة حربية وإنما لأنه الشخص المناسب لتمرر لنا الجماعة الشعبية أهم قواعد الصراع الأخلاقية على الإطلاق؛ وهي عدم التمثيل بالجثث. فدياب المعروف بغضبه وانفعاله حين يقرر الانتقام لمقتل صديقه غدرًا، يمتلئ بطاقة غضب تعميه عن قواعد الصراع الأخلاقية التي تواضعت عليها جماهير السيرة.

يضع **دياب** حربته في عيون دياب ويبدأ في التمثيل بجثته، وهنا يظهر **أبو زيد الهلالي** ناهيًا **دياب** عن فعلته ومعنفًا له لمخالفته القواعد الأخلاقية التي ارتضتها الجماعة لتمايز بين الأبطال على أساسها، وليؤكد لنا المعنى الشامل للبطولة الذي قدمته السيرة وهو الذي تمتزج فيه البطولة الحربية مع البطولة الأخلاقية مثلما تجسدت تجسيدًا فنيًّا في شخص **أبو زيد الهلالي** وليس **الزناتي خليفة** الذي قُتل خصم له غدرًا ولا دياب بن غانم الذي مثل بجثة خصمه ■

احترام البطل لخصمه واجب، إذا كان يعرف في خصمه خصال هذه البطولة، وهو ما يمكن أن نلمسه في تلك العلاقة التي ترصدها السيرة الهلالية بين الخصمين الكبيرين

فإذا كنا قد رأينا أن احترام المرأة قاعدة يجب على من يخالفها أن تنتقص الجماعة الشعبية من بطولته حتى بيد ابنه نفسه، فإن القتل من الخلف طعن في استحقاق مرتكبها لمعنى البطولة بل وطعن في بطولة قائده نفسه

المعنى الشامل للبطولة الذي قدمته السيرة الهلالية هو امتزاج البطولة الحربية مع البطولة الأخلاقية

العودة إلى القاهرة

علاء الديب*

حامد ندا**

كان كل المركز يبدو له يومها صغيرًا ضيقًا. شوارعه كأنها مسدودة. الآن قد أصبح يستعجل، دون جدوى، الساعات البطيئة لتنتهي به إلى الرحلة المنتظرة.

أنور معاون الصحة في أحد المراكز التابعة لمحافظة المنيا سوف يرحل قرب الفجر، في رحلة تستغرق يومًا وليلة إلى القاهرة في مهمة رسمية.

أنور أبيض سمين دون ترهل، تعدى الثلاثين بسنوات، كل مدة خدمته قضاها في الأقاليم، مدة خدمته تبدو له وكأنها كل حياته، يمكنه أن يتصور أنه ولد في أحد مكاتب الصحة هذه، على الكرسي القش، أمام المكتب، إلى جوار النافذة.

يحب أنور الطعام الجيد، والاقتصاد بعض الشيء. يحب أن يكون له مسكن نظيف. يحب أن يتعاطى بعض الأدوية والمقويات. ويحب أن يحفف شاربه، وأن يعتني بعضلات صدره، الذي يحب انفتاحه خصوصًا عندما يرتدي بدلته الشتوية. ويحب أن يقرأ الجريدة على مهل في العصر، وأن يحتفظ ببعض المجلات، ويقلب فيها، وينفض عنها التراب في صباح يوم الجمعة عندما لا يغادر مسكنه.

هو لا يحب الذين يشكون. ولا يحب الذين يتكلمون عن أنفسهم ويدخلون الناس في كل شؤونهم الخاصة. ولا يحب أن يتدخل أحد في عمله، حتى الأطباء.. الذين حاول بعضهم أن يدخل معه في علاقة صداقة أو شيء من هذا القبيل ولكنه كان يبقيها دائمًا في الحدود الرسمية.

موظف مستقيم، لا يسرق، ولا يرتشي، ولا يحب أصلًا التجارب الحادة أو المغامرات، خدم في المدينة الكبيرة شهورًا في أول التعيين، ثم تنقل في القرى، ولكنه يفضل الخدمة في المراكز والبنادر.

ولا يحلم على الإطلاق.

من الذي يتكلم من القاهرة؟

الساعات بطيئة. بعد أن أخذ أوراق السفر غادر المكتب، ووضع الأوراق الرسمية في الشنطة فوق البيجامة والفوطة والقميص النظيف. ترك الشنطة على الكرسي بجوار الباب، وغادر البيت إلى الميدان الذي يتوسط المركز حيث محطة القطار. لم يكن اليوم يوم خميس، ولكنه يوم في منتصف الأسبوع. لا يغادر المركز أحد، ولا يرِد إليه أحد.

أغلب هذه الوجوه تعرفه، وهو يعرفهم، ولكن الجميع الآن يبدون وكأنهم يتحركون في سراب فوق أرض ملساء. الشوارع لا تؤدي إلى شيء. أشجار «دقن الباشا» الكبيرة تحيط بالمحطة وتغلفها بستارة صفراء غامضة.. تشرب شمس العصر لكن تفرز ببطء شديد ظلمة الغروب والمساء. وعينا أنور مغلقتان تحومان فوق المكان لتسقطا فوق قضبان القطار اللامعة التي تمتد إلى هناك.

عاد إلى مسكنه. كل شيء مرتب وفي مكانه.. تمامًا كما تركه. قلب في الجريدة، وقرر أن يتركها ليقرأها بعد عودته. تصفح في المجلات، ووقف يصنع لنفسه كوبًا من الشاي ثم جلس يشربه. أفكار تفز وتطل برأسها، ولكنه يتلفت حوله، تمسكًا بأهداب حكمة تراكمت خلال السنوات الطويلة من الخدمة في الأقاليم.

كان يجب أن يرتب اليوم لقاء بينه وبين المرأة التي تزوره، وأن يغلق عليها وعليه الباب حتى موعد القطار، ولكنه فضل أن يبقى وحيدًا، وها هو الآن لا يدري ماذا يفعل بوحدته.

أرسل في طلب فرَّاش المكتب الذي يؤدي له كل الخدمات. جاء إليه

* كاتب وروائي مصري ولد في القاهرة في شباط/فبراير 1939، وتوفي في شباط/فبراير 2016. والنص مأخوذ من مجموعته القصصية «صباح الجمعة» التي ظهرت للنور في العام 1969.

** فنان تشكيلي مصري راحل (1924–1990)

بعد لحظات. لم يدرِ ماذا يقول له. أخذ الفراش يدور في الشقة، يقوم بأشياء لا ضرورة لها، وصنع لنفسه شايًا، ودخن ثلاث سجائر، وهو يتبادل الحديث مع حضرة المعاون في مواضيع مختلفة.

أول الليل يزحف في كسل، وأمامه الليل كله. القطار لن يغادر قبل الثالثة. الفراش يقترح أن يذهبا معًا إلى منزله حتى تعد لهما زوجته عشاء بسيطًا، ويقضيا بعض الوقت، ولكنه يرفض، وينزل مرة أخرى إلى الميدان حيث يتركه الفراش لكي يذهب إلى منزله.

ليس في الميدان سوى نور خافت وبعض النائمين لصق جدار المحطة. الدكان الذي يعرفه نصف مضاء، يقدم لبعض الزبائن.. بعض الشراب. إنه لا يجلس هنا إلا نادرًا.

ولكنه يشرب الليلة، ويحسب النقود، ويستجمع شجاعته ليجعل الأشياء التي تدور تثبت في مكانها. «قلقاسة» الذي يقدم الشراب للموائد القليلة الباقية يلتفت إليه كثيرًا، ثم تهرب عيناه من عينَي أنور اللتين تنطقان بالجد والأهمية.

قد يحدث شيء.

هل يعرف قلقاسة هذا معنى العودة إلى القاهرة؟

واستقر أخيرًا في مقعد الدرجة الثانية الوثير. الليل حوله مظلم. يمر القطار بعشرات القرى.. لا يقف. المحطات نائمة، لا تدري هي الأخرى معنى العودة إلى القاهرة. وعندما بدأت آثار الخمر الرديئة تتبخر من رأسه كان الصباح يطلع عليه بضوئه اللاسع.

ارتدى قميصه النظيف في القطار، وأسرع في شوارع القاهرة، ليكون في المستشفى الكبير قبل زحمة الزوار.

أمضى النهار كله في المستشفى، وسلم على بعض الزملاء القدامى. سلم الدفاتر والأوراق وأنهى المهمة مع الموظفين. وفي الثالثة كان يراقب الجميع عائدين إلى منازلهم. الحقيبة في يده، لا داعي للذهاب إلى أي لوكاندة.

قد يحدث شيء.

تطلّع أنور في الوجوه، وجمع لنفسه بعض الملاحظات، وتذكر أحاديثه مع فرّاش المكتب.. والمرأة التي تزوره.. وعيني قلقاسة. ورأى في الشارع وجوهًا كثيرة تسأله عن معنى العودة إلى القاهرة.

أخذت الساعات البطيئة تدفعه في دوران لا ينتهي حول «باب الحديد»، منتظرًا قطار المساء الذي يغادر القاهرة في أول الليل ■

محمد الصغير أولاد أحمد*

جنوب الماء

أدِرْ علينا الكؤوسا
وعبّها بالهواء
فقد نطيلُ الجلوسا
عيونُنا في السّماء
تصطاد غيما عبوسا
حتّى يجود بماء
فنملأنّ الرؤوسا
بخمرِ هذا الفضاء
ونخلعنّ النّفوسا
من بعد خلع الحذاء!
ولا تُطلْ ... وأدرها
وقلْ: سلامًا.. وضعْها
واذهبْ
وعُد.. ثمّ خذها
واضحك إلى من ينادي
حتّى يقال:

تدور
أمورُ
هذي البلاد!
وكن عطوفًا علينا
ولا تقطّب جبينا
محمحمتين أتينا
لحانكم.. كالجياد
بل فاسقنا يا حبيبي
ما تشتهي من حليبِ
من عهد نوحٍ وعاد
الطّبُ ضدّ الزّبيب
لذاك قيل:

تدورُ
أمورُ
هذي البلاد!

واسردْ علينا حكايا
عن مشمشات الصّبايا
وكيف قدحُ الزّناد
فإنّ حلو الكلام
لمسكرٌ كالمدام
ونافعٌ للعباد
لذاك قيل:
تدور
أمور
هذي البلاد!

اليومَ أمرٌ
– وأمسِ؟
أفقت من خمرِ حبسي
ولي رضوضٌ بنفسي
كأنّني من جماد
ولو بقيت طليقًا
مبلّلًا أو غريقًا
أشدو مع كلّ شاد
لقرّرت لا تدور
أمورُ
هذي البلاد!

وأنت: ماذا دهاك؟
لم يبقَ نجمٌ سواك
أدعوهُ دومًا ملاكي
فيختفي في البعاد
حتّى النجوم تغور
لكي يقال: تدور
أمورُ
هذي البلاد!

نهيمُ في كلّ وادِ
وكلّ ما نبتغيه:
وسادةٌ للرّقاد
وطيفُ من نشتهيه
وكسوةٌ للحداد
حتّى يقال: تدور
أمورُ
هذي البلاد!

أقداحنا: يا نظافُ
من كلّ خافٍ وباد
لسنا الذين نخافُ
من حبّ هذي البلاد
لكنها لا تدور
بل قام فيها المنادي
ومن رآها تدور
فالوهم ...
سوّى لديه:
خُذروفهُ
بالبلاد.

* شاعر تونسي ولد في سيدي بوزيد في نيسان/ أبريل 1955، ورحل عن عالمنا في نيسان/ أبريل 2016

الفوتوغرافيا لأحمد اللباد
لجدران في شارع «محمد محمود بالقاهرة»

القدس:

تخريج أول دورة في الإسعافات الأولية بالمسجد الأقصى المبارك

ICRC

نظمت اللجنة الدولية للصليب الأحمر في الأراضي الفلسطينية المحتلة في أيار/ مايو الماضي دورتين تدريبيتين في مجال الإسعافات الأولية داخل باحات **المسجد الأقصى**، وذلك بالتعاون مع **جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني**. استهدفت الدورتان، اللتان نُظمتا لأول مرة، تدريب نحو 45 من النساء والرجال العاملين في **المسجد الأقصى** على مبادئ الإسعافات الأولية، وتعزيز قدراتهم على تقديم المساعدة اللازمة، خاصة في حالات الطوارئ إلى حين وصول المسعفين. وقالت **لمياء أبو رميلة**، وهي واحدة من حارسات المسجد الأقصى: «**هذه الدورة في غاية الأهمية بالنسبة إلينا في الحياة العملية، وللتحديات التي نواجهها أيضًا في المسجد الأقصى. الآن إذا واجهت أي موقف، فإنني أستطيع، بفضل الدورة، أن أكون دون تردد المسعفة الأولية لأولادي وجيراني وفي المسجد الأقصى تحت أي ظرف**». شملت الدورة محاضرات عن دور اللجنة الدولية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وعملها في مجال الحماية، علاوة على مفاهيم القانون الدولي الإنساني. وقال مدير بعثة اللجنة الدولية في القدس والضفة الغربية **كريستيان كاردون** «للمسجد الأقصى المبارك مكانة خاصة دينيًا وتاريخيًا، ويشرفنا مساعدة السلطات في تعزيز قدرات العاملين». وأضاف **كاردون**: «**شهد المسجد الأقصى المبارك زيادة في حدة التوتر والاشتباكات خلال الشهور الأخيرة. ستساهم هذه الدورة وغيرها من الدورات المستقبلية في رفع كفاءة العاملين [بالمسجد] في جميع الأوقات**».

ICRC

عمَّان:

المؤتمر الإقليمي الثالث حول الرعاية الصحية في أماكن الاحتجاز

نظمت اللجنة الدولية للصليب الأحمر في **عمَّان** بالتعاون مع **مديرية الأمن العام** و**وزارة الصحة الأردنية** المؤتمر الإقليمي الثالث حول الرعاية الصحية في أماكن الاحتجاز في الفترة ما بين 3 و7 نيسان/ أبريل. حضر المؤتمر 24 ممثلًا من سلطات الاحتجاز والعاملين في مجال الرعاية الصحية في أماكن الاحتجاز من عشرة بلدان في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وقد وفَّر المؤتمر منبرًا لمناقشة مسائل مهمة تدخل في صميم عمل المشاركين، ومن ضمنها أخلاقيات مهنة الطب ودور الأطباء في أماكن الاحتجاز والقيود الأمنية والتعامُل مع المضربين عن الطعام وآثار الحبس الانفرادي المطوَّل.

وقال السيد **فريديريك فورنييه**، رئيس بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في الأردن، في كلمته أمام المشاركين إن «**اللجنة الدولية ملتزمة بالعمل بشكل وثيق مع السلطات الأردنية ودعم جهودها الرامية لتقديم أفضل الخدمات الصحية في أماكن الاحتجاز**». وقال الدكتور **رائد أبو ربيع**، منسق الأنشطة الطبية لبعثة اللجنة الدولية في الأردن: «**لا يمكن تحقيق الرعاية الصحية اللائقة في أماكن الاحتجاز في أي بلد في العالم من دون العمل المشترك بين سلطات الاحتجاز ووزارة الصحة**». وأضاف أبو ربيع «**الصبغة الإقليمية لهذا المؤتمر أتاحت للمشاركين مناقشة التحديات والخبرات والحلول التي يتم تطبيقها في بلدان مختلفة لتعزيز حصول المحرومين من الحرية على الخدمات الصحية**». وتزور اللجنة الدولية الأشخاص المحتجزين لرصد ظروف احتجازهم والمعاملة التي يلقونها. وتعمل اللجنة الدولية مع سلطات الاحتجاز والعاملين في مجال الرعاية الصحية حول العالم للتحسين من مستوى الخدمات الصحية المقدَّمة في أماكن الاحتجاز.

صنعاء:

الأزمة الإنسانية عنوان مسابقة اللجنة الدولية للتصوير الفوتوغرافي

ICRC

نظمت بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في اليمن مسابقة للتصوير الفوتوغرافي «أفضل صورة إنسانية» لتسليط الضوء على العمل الإنساني في اليمن المنهك بالصراعات. وقد شارك كثيرون بصور تلقي الضوء على الأزمة الإنسانية في البلاد، وتبعاتها على الحياة اليومية، والأمل في وضع أفضل. وقد فاز **صالح باحليس** (24 عامًا) بالمركز الأول بصورته التي يظهر فيها أحد متطوعي فرق الإنقاذ المدنية في اليمن وهو يأخذ قسطًا من الراحة أثناء انتشال جثامين الضحايا (الصورة على اليمين). وفاز **حمزة شايف يحيى القديمي** (18 عامًا) بالمركز الثاني لصورة التقطها في مكان جرى قصفه. أما الصورة الثالثة فكانت لـ سيف **مجاهد علي ماطر** (37 عامًا)، وهي ابتسامة لطفلين بعد أن انتهيا من جلب الماء لمنزلهما الذي تعرض للدمار.

بيروت:

دورة تدريبية لضباط الجيش اللبناني

ICRC

نظمت بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في لبنان بالتعاون مع الجيش اللبناني دورة تدريبية دامت أسبوعين حول القانون الدولي الإنساني في نيسان/ أبريل الماضي. شارك في هذا التدريب المعنون «**مدربو الجيش اللبناني والقانون الدولي الإنساني**» 11 ضابطًا من مختلف قطاعات الجيش اللبناني. وجاء هذا التدريب ضمن خطّة اللجنة الدولية المشتركة مع الجيش لتعزيز إدماج القانون الدولي الإنساني في أنظمته.

القاهرة:

توقيع اتفاقية تعاون مع الهلال الأحمر المصري

ICRC

وقعت اللجنة الدولية للصليب الأحمر، ممثلة في بعثتها **بالقاهرة**، وجمعية الهلال الأحمر المصري في أيار/ مايو الماضي اتفاقية إطارية للتعاون (2016–2018). وقد وقع الاتفاقية كلٌّ من **كاترين جوندر** رئيسة بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في القاهرة والدكتورة **مؤمنة كامل** الأمين العام للهلال الأحمر المصري. وهذه هي ثالث اتفاقية توقعها اللجنة مع جمعية الهلال الأحمر المصري منذ العام 2010، استكمالًا لمسيرة التعاون المثمرة بين المنظمتين في تقديم الخدمات الإنسانية لضحايا الحالات الطارئة، لا سيما بعد تصاعد الاحتجاجات والمظاهرات في المرحلة الانتقالية التي شهدتها مصر منذ الخامس والعشرين من كانون الثاني/ يناير 2011، وما لحقها من تغيرات.

وقد ركزت الاتفاقية على محورين أساسيين؛ يهدف المحور الأول إلى بناء وتعزيز قدرات الهلال الأحمر المصري في الاستعداد والاستجابة لحالات الطوارئ، والنشر والتعريف بالقانون الدولي الإنساني والتدريب المشترك للصحافيين على الإسعافات الأولية، بالإضافة إلى دعم قيادة الجمعية في مجال التنسيق الدولي والإقليمي ضمن إطار الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر. ويركز المحور الثاني على الشراكات التنفيذية والميدانية في مجال عمليات الإغاثة المشتركة وأيضًا على تقديم المساعدات للفلسطينيين القادمين إلى مصر بسبب ظروف النزاع في سورية.

غزة:

تدريبٌ مُكثّف لأطباء الجراحة العامة

ICRC

عقدت البعثة الفرعية للجنة الدولية للصليب الأحمر في قطاع غزة بالتعاون مع وزارة الصحة تدريبًا متخصصًا لأطباء الجراحة العامة حول جراحة الأوعية الدموية بحضور المدرب البريطاني البروفيسور **جون وولف**. شارك في التدريب الذي انقسم لمجموعتين، ثمانية وعشرون مشاركًا من خمسة مستشفيات في القطاع بالإضافة إلى مشاركة كل من جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني والخدمات الطبية العسكرية.

وعن تجربته في المشاركة في هذا التدريب، قال الطبيب الجراح **محمد العديني**: «**شاركت في تدريبات سابقة لكن ما يميز هذا التدريب احتواؤه على التطبيق العملي بجانب الشرح النظري، والذي استخدم فيه وسائل توضيحية تقنية حديثة لتوصيل المعلومة بأفضل صورة**». وبرزت الحاجة إلى عقد مثل هذه الدورات التدريبية بعد الحرب الأخيرة في العام 2014 بسبب الصعوبات التي واجهتها الطواقم الطبية العاملة في القطاع الصحي في التعامل مع الحالات الطارئة من إصابات الأوعية الدموية.

ومن جانبه، قال الطبيب الجراح **بسام المصري** إنها «**تجربة جديدة وفتحت أفقًا جديدًا أمامي. كنا نتعرض لمثل هذه الحالات ولكن كنا نحولها لمختص مما يؤخر علاجها. الآن سنتمكن من التعامل معها وإنقاذ حياة المرضى**».

تونس:

ورشة عمل حول إدارة الرفات البشرية

نظمت بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في ليبيا في حزيران/ يونيو ورشة عمل (أقيمت في تونس) على مدى أربعة أيام، حضرها 17 متطوعًا من جمعية الهلال الأحمر الليبي، علاوة على أخصائيين في الطب الشرعي، لوضع لوائح تنظيمية ومبادئ توجيهية موحدة فيما يتعلق ببرنامج إدارة الرفات البشرية، مما يضمن أفضل الممارسات في التعامل مع الجثامين بشكل لائق ومهني.

... وتقديم مواد طبية للمصابين جراء القتال

قدمت بعثة اللجنة الدولية في ليبيا مواد طبية تستخدم في جراحة الأشخاص المصابين جراء القتال إلى مستشفيات أبو سليم للحوادث في طرابلس، ومستشفى الجلاء في بنغازي ومستشفى مصراتة المركزي. يذكر أن بعثة اللجنة الدولية في ليبيا قدمت منذ بداية العام 2016، دعمًا لعدد 13 مستشفى في مختلف المناطق الليبية. شمل الدعم مواد طبية تكفي لعلاج 2500 شخص مصاب.

الكويت:

مقابلة وتسجيل 52 قاصرًا يمنيًّا في السعودية

تلقت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بتاريخ 3 حزيران/ يونيو 2016 طلبًا من وزارة الخارجية السعودية للمساعدة في إعادة 52 قاصرًا تتراوح أعمارهم ما بين 8 و17 عامًا إلى عائلاتهم في اليمن. وعليه، غادر فريق مؤلف من ثلاثة مندوبين من طرف اللجنة الدولية (منسق قسم الحماية، ومندوب شؤون الاحتجاز، وطبيب) بتاريخ 5 حزيران/ يونيو متجهًا إلى الرياض للقاء هؤلاء الأطفال في مطار شرورة. وفي هذا الصدد، قال رالف وهبة، منسق قسم الحماية لدى بعثة اللجنة الدولية في الكويت: «أجرى فريقنا مقابلات مع 52 طفلًا كل على حدة وعلى انفراد وسجّلهم في إطار مهمته الإنسانية البحتة». ورغم أن اللجنة الدولية يمكنها بصفتها وسيطًا محايدًا أن تشرف على إطلاق سراح الأشخاص المحرومين من حريتهم أو نقلهم أو إعادتهم إلى أوطانهم أثناء النزاعات المسلحة، فإنها لا تشارك في أية مفاوضات بشأن عملية إطلاق السراح ذاتها. هذا وتبقى البعثة الإقليمية للجنة الدولية في الكويت على استعداد لمواصلة أداء دورها كوسيط محايد وفقًا لأساليب العمل المعمول بها لديها إزاء عمليات مستقبلية مماثلة بالاتفاق مع جميع الأطراف.

دهوك:

دورة تدريبية للأطباء في إجراءات غرفة الطوارئ

نظمت بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في العراق في أيار/ مايو الماضي دورة تدريبية في إجراءات غرفة الطوارئ لـ 22 طبيبًا في محافظة **دهوك** يعملون في مستشفيات **آزادي** و**دهوك** التعليمي و**وزاخو** التعليمي. استهدفت الدورة، التي استمرت ثلاثة أيام، تطوير قابليات الأطباء في معالجة المرضى داخل غرفة الطوارئ.

بعثات اللجنة الدولية للصليب الأحمر في المنطقة

ICRC

الأراضي الفلسطينية المحتلة: شارع النبي شعيب رقم (14) منطقة الشيخ جراح، القدس 91202، صندوق بريد 20253
هاتف: 5917900 2 (972+) فاكس: 5917920 2 (972+)
البريد الإلكتروني: jer_jerusalem@icrc.org

الجزائر: 43 شارع المعز ابن باديس بوارسون سابقًا - الأبيار – الجزائر
صندوق بريد : 16606 الجزائر
هاتف : 03 43 92 21 / 73 40 92 21 (213+) فاكس: 18 43 92 21 (213+)
البريد الإلكتروني: alg_alger@icrc.org

الخرطوم: العمارات شارع رقم 33 – منزل رقم 16 – الامتداد الجديد
صندوق بريد 1831 – 11111 الخرطوم
هاتف: 65/476464 183 (249+) (خمس خطوط) فاكس: 467709 183 (249+)
البريد الإلكتروني: kha_khartoum@icrc.org
هاتف: 3310476/3339034 11 (963+) فاكس: 3310441 11 (963+)
البريد الإلكتروني: dam_damas@icrc.org

الصومال: Denis Pritt Road، صندوق بريد: 73226 – 00200 نيروبي، كينيا
هاتف: 301 2719 (25420+) فاكس: 13731 27 (25420+)
البريد الإلكتروني: somalia@icrc.org

الرباط: 35 زنقة القلصدي (خلف مصحة ابن خلدون) ، أكدال 10090، الرباط
هاتف : 537750551 (212+) فاكس : 537651018 (212+)
البريد الإلكتروني: rab_rabat@cicr.org

القاهرة: 33 شارع 106 حدائق المعادي، 11431 القاهرة، ج م ع
هاتف: 25281540/25281541 2 (02+) فاكس: 25281566 2 (02+)
البريد الإلكتروني: cai_lecaire@icrc.org

الكويت: البعثة الإقليمية لدول مجلس التعاون الخليجي (تغطي أنشطتها: الكويت، السعودية، الإمارات العربية المتحدة، قطر، البحرين، سلطنة عمان) الجابرية، قطعة 8، شارع رقم 17، منزل رقم 4 صندوق بريد: 28078 – الصفاة 13141
هاتف: 53220612 / 53220622 / 53220982 (965+) فاكس: 25324598 (965+)
البريد الإلكتروني: kow_koweitcity@icrc.org

بغداد: الصالحية، حي السكك، محلة 220، زقاق40 دار 6 ص.ب 3317 العلوية بغداد– العراق
هاتف: 7/ 8126 443 770(0) (964+) 5/ 964614 7801(0) (964+)
البريد الإلكتروني: bagdad@icrc.org

بيروت: بناية منصور، شارع السادات، الحمرا، صندوق بريد 7188–11
هاتف: 739297/739298/739299 1 (961+) فاكس: 740087 1 (961+)
البريد الإلكتروني: bey_beyrouth@icrc.org

تونس: بعثة إقليمية، (تغطي أنشطتها: تونس – موريتانيا – الصحراء الغربية) المندوبية الإقليمية بتونس نهج بحيرة كنستنس، رواق البحيرة عمارة أ، ضفاف البحيرة تونس 1053
هاتف: 960179/960154/960196 71 (216+) فاكس: 960156 71 (216+)
البريد الإلكتروني: tun_tunis@icrc.org

جوبا: شارع الوزارات العمارات، جوبا، جمهورية جنوب السودان
هاتف: 889 151 977 0 / 170 275 912 0 (211+)
البريد الإلكتروني: jub_juba@icrc.org

دمشق: أبو رمانة، ساحة الروضة، شارع مصر، صندوق بريد 3579
هاتف: 3310476/3339034 11 (963+) فاكس: 3310441 11 (963+)
البريد الإلكتروني: dam_damas@icrc.org

طرابلس: النوفلين - شارع ابراهيم الهوني 10,53,050 بالقرب مصحة الأخوة طرابلس - ليبيا
هاتف: 9332 340 21 9331 340 21 (2180+)
البريد الإلكتروني: tri_tripoli@icrc.org

طهران: طهران، إلهيه، شارع شهيد شريفي منش، زنقة آذر رقم 4، قرب مستشفى أختر.
الرمز البريدي: 1964715353
هاتف: 4–2122645821 (98+) فاكس: 2122600534 (98+)
البريد الإلكتروني: Teh_teheran@icrc.org

صنعاء: شارع بغداد، رقم 19، منزل رقم 20 صندوق بريد: 2267 صنعاء
هاتف: 4/ 467873 / 44 38 21 1 (967+) فاكس: 75 78 46 1 (967+)
البريد الإلكتروني: san_sanaa@icrc.org

عمّان: دير غبار، حي الديار، شارع يوسف أبو شحوت صندوق بريد 9058 عمان 11191
هاتف: 5921472/4604300 6 (962+) فاكس: 5921460 6 (962+)
البريد الإلكتروني: amm_amman@icrc.org

نواكشوط: الحي A، المنزل رقم ZRA 722، صندوق البريد 5110، نواكشوط، الجمهورية الإسلامية الموريتانية
هاتف: 45245810/45244738 (222+) فاكس: 45244697 (222+)
البريد الإلكتروني: nou_nouakchott@cicr.org

presence of other people in their lives and their presence in other people's lives. Even though the names and whereabouts of these other people may not be known, they know that they are reaching out to light up the darkness in other people's lives.

These people are "humanitarian citizens". They live among us, even though we are not always aware of the support they provide us and others. In this issue of Al-Insani, we present some of their stories (such as those of Saeed Assaker, an Egyptian paramedic and four female Palestinian activists), or let them tell their stories themselves, such as ICRC retired staff member Gerard Peytrignet in his testimony summing up 35 years of working in the most difficult circumstances worldwide and experiencing major events in world history. For the first time since the birth of the magazine in 1998, this issue also features an interview with the President of the ICRC, Peter Maurer, who has just completed his fourth year as the head of the organization. He speaks about the humanitarian challenges faced today as a result of the change in the nature of conflict and its parties, and of the developments in the Arab region that have plunged many countries into conflict, some lasting for decades.

The suffering and tragedy contained in these accounts and many others can make us lose our faith in humanity, but we must rather be encouraged by the extraordinary responses to these events provided by the many humanitarian citizens, such as those described here, and hold firmly to the belief in a better future.

«Al-Insani»

تعرَّف على اللجنة الدولية للصليب الأحمر

يقدم هذا الكتيب رؤية عامة على الجهود التي تبذلها اللجنة الدولية للصليب الأحمر والتحديات المعاصرة التي تواجهها في الاضطلاع بمهمتها الإنسانية. تعرَّف على اللجنة الدولية للصليب الأحمر من خلال وجهات نظر خمسة من موظفيها وشركائها والمستفيدين من المساعدات الإنسانية التي تقدمها، إذ يروون قصصهم الشخصية الخاصة بكيفية تعرُّفهم على اللجنة الدولية وتاريخها والأنشطة التي تضطلع بها. يمكن الحصول على نسخة إلكترونية من هذه المطبوعة من خلال هذا الرابط:
https://goo.gl/eMNM0a

الخدمة والحماية: حقوق الإنسان والقانون الإنساني .. دليل لقوات الشرطة والأمن

يؤدي مسؤولو إنفاذ القانون دورًا رئيسيًّا في المجتمع، من خلال خدمة الناس وحمايتهم وحفظ القانون. وهذا الدور مستمر في الأوقات كافة، بما في ذلك أثناء النزاعات المسلحة وحالات العنف الأخرى. وتدعم اللجنة الدولية جهود قوات الشرطة والأمن الرامية إلى دمج قواعد ومعايير القانون الدولي في الإجراءات التي يتخذونها، عن طريق الاشتراك معها في حوار حول القانون والعمليات التي تضطلع بها هذه القوات. ودليل «الخدمة والحماية» كان منارة وهاديًا لذلك الحوار خلال السنوات العشرين الماضية. وهذه النسخة المحدَّثة تنتقل بتلك المحاولة الناجحة خطوة أبعد، إذ تستغل الخبرة المتراكمة مؤخرًا في شرح القواعد والمعايير الدولية المنطبقة على وظيفة إنفاذ القانون وتطبيقاتها العملية بالنسبة لأنشطة إنفاذ القانون. للحصول على نسخة إلكترونية من الدليل، انظر الرابط:
https://goo.gl/yiszJd

المبادئ الأساسية للصليب الأحمر والهلال الأحمر

يستعرض الكتيب قصصًا شخصية ودراسات حالة للتعريف بالمبادئ الأساسية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، وكيفية تطبيقها في عالمنا اليوم. هب أنك متطوع يقود سيارة إسعاف في بلد يخوض حربًا أهلية، ماذا تفعل إذا ما رفض جندي السماح لك بعبور نقطة تفتيش لأن المريض الذي تُقلُّه ينتمي إلى منطقة تقع تحت سيطرة جبهة معارضة؟ أو إذا كنت توصل مساعدات في أعقاب فيضان كارثي، من الذي يكون له الأولوية في الحصول على المساعدة؟ هذه أسئلة شائعة ترد على أذهان العاملين في مجال الإغاثة حول العالم، وللمساعدة في الإجابة على تلك الأسئلة، استرشدت الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر بمبادئها الأساسية السبعة: الإنسانية، وعدم التحيز، والحياد، والاستقلال، والخدمة التطوعية، والوحدة، والعالمية. يمكن تحميل الكتيب من هذا الرابط:
https://goo.gl/8mNz5G

دليل الجماعات المسلحة لضمان تقديم الرعاية الصحية

الوصول الآمن للرعاية الصحية ضرورة لكل من المدنيين والمتحاربين في حالات النزاعات. لكن لكي يتحقق ذلك، ينبغي على جميع أطراف النزاع احترام أفراد الرعاية الصحية وحمايتهم حتى يتمكنوا من أداء مهمتهم الإنسانية دون خوف على سلامتهم الشخصية. وهذا المنشور هو أداة عملية تقدم للجماعات المسلحة والمهتمين بالمسألة، معلومات حول التزامات القانون الدولي الإنساني ذات الصلة والتدابير العملية التي يمكن للجماعات المسلحة أن تأخذ بها لحماية الأنشطة الرامية لتوفير الرعاية الصحية. وهو ثمرة عملية تشاورية امتدت لعامين، أجرتها اللجنة الدولية للصليب الأحمر في إطار مشروع «**الرعاية الصحية في خطر**»، مع أكثر من 30 جماعة مسلحة مشتركة في نزاعات مسلحة غير دولية حول العالم. للحصول على نسخة إلكترونية، انظر الرابط:
https://goo.gl/Zc5jRc

الأسلحة المتفجرة في المناطق المأهولة

في شباط/ فبراير 2015 عقدت اللجنة الدولية للصليب الأحمر اجتماعًا للخبراء حول موضوع الأسلحة المتفجرة في المناطق المأهولة. ضمَّ هذا الاجتماع خبراء حكوميين من 17 دولة و11 خبيرًا مستقلًّا، بمن فيهم خبراء أسلحة وممثلو وكالات تابعة للأمم المتحدة ومنظمات غير حكومية. هذه الوثيقة هي تقرير عن هذا الاجتماع، حررتها اللجنة الدولية بموجب المسؤولية الملقاة على عاتقها وحدها. للاطلاع على الوثيقة، انظر الرابط:
https://goo.gl/qagYtn

Contents

• **First World Humanitarian Summit: Much ado about nothing!** By: **Ahmed Zaki Osman**, Managing Editor, Al-Insani magazine.
This report reviews the outcomes of the First World Humanitarian Summit hosted in Istanbul, Turkey, in May. It covers some of the controversial issues raised at the Summit, such as the attempt to merge humanitarian action with development work.

• **Peter Maurer: Today's conflicts are the result of failed development and injustice.** Interview by: **Rabab Al-Rifaï**, Head of the Regional Communication Centre, and **Zeinab Ghosn**, Chief Editor, Al-Insani magazine.
In this in-depth interview, the ICRC President warns of the devastating effects of the armed conflict in Syria, as he provides an analysis of the many turns that the conflict has taken and of the situation in international humanitarian law. He also presents his vision of ICRC's priority humanitarian issues today and the major challenges it faces.

• **How the Syrian refugee crisis revealed a legal vacuum.** By: **Ibrahim Awad**, an expert on migration issues, Cairo.
Recent armed conflicts in the Middle East have exacerbated the refugee crisis in an unprecedented manner. Millions have fled their countries, resulting in a wide range of practical and legal issues. This article attempts to understand the challenges imposed by the recent refugee influx.

• **Besieged areas in Syria.** By: **Pawel Krzysiek**, ICRC spokesperson in Syria.
As the conflict expands in Syria, the number of besieged areas due to the fighting has increased. While people in such areas have high hopes of the ability of international organizations to lift the siege and alleviate their suffering, they can become outraged when the response is slow and aid is insufficient. This article casts light on the situation of the populations living in some of the besieged areas where long-awaited aid has been delivered.

• **The "Arab Spring" and its conflicts through the lens of a citizen journalist.** By: **Mohamed Allam**, Social Media Analyst, ICRC Regional Communication Centre, Cairo.
Had it not been for the many "citizen journalists", the world would never have seen many of the images of hundreds of thousands of demonstrators engulfing the squares and streets of Egypt and Tunisia, or viewed the videos that have provided daily documentation of the conflict and suffering in Syria and other countries, providing live streaming of events in the region. This article examines the transformations taking place in the media landscape across the Arab region and beyond.

• **From local journalist to war correspondent.** By: **Abeer Saadi**, Egyptian journalist.
The author of this article, a specialist in reporting on armed conflict, recounts true stories of the bravery shown by countless Arab journalists while covering the conflicts that have ravaged their home countries. From Egypt, Libya, Syria and Yemen, this article highlights the role of Arab journalists in portraying these conflicts and documenting events.

• **War and conflict as reflected in Syrian cinema.** By: **Firas Mohamed**, Syrian film critic.
Syrian cinema has always provided a reflection of the country's political and social realities. It has exhibited particular qualities, including a seriousness and a concern to express reality, while reflecting the visions, thoughts, and political and ideological concerns of its directors. In recent years, as the article describes, Syrian cinema has been trying to capture the rhythm of the war drums that are still being banged.

• **A Palestinian circus brings a smile to families in Jerusalem.** By: **Jesus Serrano**, Media Relations and Spokesperson, ICRC Jerusalem.
The Palestinian Circus School is headquartered in Birzeit, north of Ramallah. With the help of ICRC, some of its members were able to visit Jerusalem and deliver performances that sought not only to entertain, but also to raise awareness on some of the challenges and problems in Palestinian society.

• **Men: Portraits of a journey.** A photo gallery by: **Joe Saade**, a Lebanese photographer.
Seven men from Lebanon, Palestine and Syria whose lives have been massively disrupted by conflict and other violence in their countries, and who have experienced the life of a refugee are portrayed in this photo gallery. Despite the suffering the men have been through, they are not helpless victims. Their dreams and aspirations, simple as they might seem, reveal their essential dignity and longing for normal lives.

• **Sexual violence: A tragic and taboo scar of South Sudan's conflict.** By: **Jason Straziuso**, Regional Spokesperson, ICRC in East Africa.
In time of war, sexual violence against women is frequent, and is even sometimes used by fighting parties as a tactic of war. This article sheds light on the unspeakable suffering of the women who are victims of this brutal crime as the bloody conflict in South Sudan continues.

• **Algeria acts to protect women against violence and sexual harassment.** By: **Salma Harraz**, Algerian journalist.
This article examines the legislation adopted by Algeria to protect women, either within the family or within society as a whole, such as laws criminalizing sexual and domestic violence. These legislative reforms represent the culmination of years of feminist struggle by Algerian women to obtain their rights.

• **We are Palestinian humanitarian women workers in the field.**
The Palestinian woman has always been at the forefront of Palestinian life, striving to sustain their families and struggling to maintain civil peace in tough times. In the humanitarian field, Palestinian women have played a remarkable role. In this article, we listen to four Palestinian women whose stories give us a glimpse of what it is like to be a working woman in Palestine.

• **Meet Saeed Assaker, a paramedic with 25 years of saving people's lives.** By: **Ahmed Abdel Fattah**, Audiovisual Producer, ICRC Regional Communication Centre, Cairo.
Abdul Fattah Saeed Assaker is a paramedic who has been working with the Egyptian Ambulance Organization since 1992. Throughout his long service, Assaker has helped to save countless lives. In this short interview, we get an overview of the challenges he faces in his work.

• **A day in the life of the ICRC: Adan Abdirahman Abdi from Somalia talks about his work.** By: **Rita Nyaga**, Assistant Economic Security Officer, ICRC Somalia.
In this interview we meet Adan Abdirahman Abdi, better known among his ICRC colleagues as "Hayer". A former high school teacher, Hayer is currently a field officer at ICRC, where he has worked for 12 years. He is also in charge of the ICRC office in Hudur, capital of the Bakool region in Somalia.

• **Gerard Peytrignet: A witness to 35 years of humanitarian action worldwide.**
During his 35-year career as an ICRC delegate, Gerard Peytrignet travelled the world. Following his decision to take early retirement, Gerard agreed to speak to Al-Insani about his career and field experiences, the political environment, and the challenges faced by ICRC along with its successes.

• **The popular imagination: Formulating an ethics of war through the Al-Sirah Al-Hilaliyyah war tales.** By: **Sayyed Daifullah**, an expert on folk heritage from Cairo.
The Al-Sirah Al-Hilaliyyah, the widely-known vernacular Arabic epic, presents an ethics of war and battle. This article explores the popular imagination that is depicted in the folk tale, arguing that it praises those who show respect for the rules of conflict, while disparaging those who violate such unwritten rules.

• **Without retouches: Back to Cairo.** By: **Alaa El-Deeb**, Egyptian critic and writer.

• **Poetry: South of the Water.** By: **Mohamed Saghir Ouled Ahmed**, Tunisian poet.

• **From around the world**

Editorial

Reaching out to light up the lives of others

The "search for self" is a quest that a person may spend their whole life pursuing without ever reaching their final destination. Some may find answers to the ontological questions that give them sleepless nights, thinking that they have found the "truth" they seek, and that they can finally end their quest. However, many people spend their entire lives searching. They may even develop the conviction that the human self is so complex that it is almost impossible to understand its essential nature.

Humans, young or old, are naturally disposed to ask such existential questions and to search for reassuring answers. Some find their fulfilment in the money they accumulate, while others find it in doing what they are good at or within the family they love. There is no single answer to the question of human contentment. There are, in fact, as many answers as there are human beings on earth. While we share a common humanity, we should not draw the conclusion that we are all similar in terms of what makes us happy or sad, what makes our faith strong or weak, or what makes our lives meaningful or renders them meaningless.

In this journey, some might find their answer in helping those in need, no matter how far or different they are from one another. This is because they are able to see what they have in common with their brothers and sisters within the broader human family. For these people, the search for a meaningful life is not limited to pursuing purely personal interests, because their existence revolves around the

الأمل في عالم بلا ألغام

فقد «بونافاشيو موازيا»، 57 عامًا من موزمبيق، ساقه اليسرى جراء انفجار لغم أرضي مضاد للأفراد في العام 1985 أثناء الحرب الأهلية التي ضربت البلاد. لم يفقد «موازيا» الأمل ولم تهن عزيمته، فهو يواصل العمل والكد لفلاحه أرضه. هذا الرجل هو واحد من آلاف الناس الذين تضرروا من آلات القتل المخفية، ودفعوا دول العالم كي تقر «معاهدة أوتاوا» التي حظرت الألغام المضادة للأفراد والتي خرجت إلى النور قبل نحو عشرين عامًا. في ذلك التاريخ كان نحو 20,000 شخص، معظمهم من المدنيين، يُشوَّهون أو يُقتلون سنويًا بسبب الألغام، أما الآن فيُقدّر العدد بنحو 3,500 شخص. ومع ضخامة هذا الإنجاز الذي تحقق، إلا أن هناك الكثير الذي ينبغي فعله للقضاء الشامل على هذه الألغام؛ كأن تصدق جميع دول العالم على الاتفاقية، وأن يقدم دعم أكبر وأشمل إلى ضحايا الألغام.